روائع شكسبير

تاجر البندقية

مكتبة معروف

وليام شكسبير

تاجر البندقية

حمدى السعداوى



الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة: ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ١٣٧٠ الإسكندرية

تعريف بالكاتب

* وليم شكسبير من أعظم شعراء الإنسانية .

كان مولده فى شهر أبريل من عام ١٥٦٤ ببلدة ستراتفورد الأنجليزية وكان والده رجل أعمال ناجحا وكانت أمه من بنات عائلة ثرية معروفة . وتعلم شكسبير مع أخوته الأربعة فى مدرسة البلدة حيث كان يدرس اللاتينية وأداب الأنجليزية ويبدو أن شكسبير أستطاع بطريقته الخاصة أن يزود معرفته باللغة الفرنسية وكذلك الإيطالية .

وفى عام ١٥٧٧ وكان عمره ١٣ عاما .. أضطر شكسبير إلى ترك الدراسة والإلتحاق ببعض الأعمال البسيطة كى يساعد والده فى تدبير أمور معيشة الأسرة وذلك بعد أن ألمت بالأب بعض الصعاب المالية جعلته يفقد أعماله الناجحة .

وفى الثامنة عشر من عمره تزوج وليام شكسبير من امرأه تكبره بثمان سنوات ورزق منها بثلاثة أولاد ولكنه لم يستطع التأقلم على الحياة الزوجية التى تتطلب من المرء إلتزاما وثباتا لم يجدهما وليام متوافران لديه .. فكان كثيرا ماينشب الشجار بين الزوجين ، ودفعت

تلك الأزمات بشكسبير إلى مجموعة من أصدقاء السوء .. فكان وهو في تلك السن الصغيرة نسبيا يقترف معهم بعض الأعمال الإجرامية الصغيرة كسرقة الأرانب والغزلان من مزارع الأعيان .

وفي عام ١٥٨٥ نظم شكسبير قصيدة في هجاء أحد الوجهاء في بلدته .. ويبدو أن هذا الوجيه قد ضايقه بسبب تلك القصيدة ، فعزم وليام شكسبير على أن يترك ستراتفورد إلى حين ، وغادرها إلى لندن التي وصلها معدما ، بلا صنعة يحترفها أو مهنة يتقنها ، ويختلف المؤرخون في تفاصيلها تلك الفترة الأولى من حياته في لندن .. فمنهم من يقول أنه أمتهن حراسة خيول رواد المسرح الأثرياء والذين كانوا يتركونها خارج المسرح . ومنهم من يقول أنه عمل كخادم في المسرح . ولكن الأرجح أنه عمل كمساعد ملقن مستعينا في ذلك بمحصول دراسته الأدبية في الأدب الأنجليزي ومعرفته ببعض اللغات الأجنبية .

وفي عام ١٥٩٢ تقريبا بدأ وليام شكسبير عمله ككاتب مسرحي له قدره وذلك بعد أن أشتهر بين الأوساط الفنية في لندن بأنه مراجع جيد للنصوص المسرحية ، أما أولى وثباته في تاريخ النجاح فكانت في عام ١٦٠٣ حين أعتلى چيمس الأول عرش أنجلترا ودعاه ليمثل في القصر الملكي أمام الملك ورجال البلاط المحترمين .

وفي عام ١٥٩٧ عاد وليام شكسبير إلى بلدته ستراتفورد التي غادرها معدما ، وهناك أشترى بعض العقارات ومخزنين للحبوب

وعاد اسـمه واسم عـائلته إلى الظهـور مرة أخرى ، واسـتقـر وليام شكسبير فتره فى بلدته يوطد فيها مركزه ويعيد لأسم عائلته مجدها الذى ضاع سنينـا طويلة ، ثم عاد إلى لندن عام ١٥٩٩ ليؤلف ويمثل العديد من المسرحيـات الناجحة ، وبلغ نـجاحه حدا كـبيرا لدرجة أنه أستطاع أن يحصل على جزء من أرباح مسرح الكرة الأرضية الشهير وكان من أكبر مسارح أنـجلترا فى هذا العهد .

وفى عام ١٦١١ أنهى شكسبير نشـاطه المسرحى فى لندن بعد ما أثرى الأدب الأنـجليزى بمجموعة كبيرة من الأعمال الفنية جعلته بحق أمير الأدباء فى عصره ، وفى عام ١٦١٦مات فى ستراتفورد عن عمر ٥٢ عاما تقريبا ، ودفن فى بلدته التى غادرها صغيرا ولكنه عاد إليها شخصا معروفا ، ثريا تتناقل أسمه كل محافل أنـجلترا الأدبية ..

ترك وليام شكسبـير تراثا خالدا من الأعمال الأدبيـة العظيمة يمكن تلخيصها عدديا كالآتى :

١٤٠ مقطوعة شعرية

٥ قصائد طويلة

٣٧ مسرحية شعرية تتخللها بعض المواطن النثرية ..

ويقسم المؤرخون أعمال شكسبير المسرحية إلى ثلاثة أقسام حسب موضوعاتها .

– مسرحيات هزلية .. ومنها ملهاة الأفكار ، حلم ليلة صيف ، الليلة الثانية عشرة .

– مســرحيات تاريخـية ... ومنها الملـك هنرى الرابع ، الخامس ، الملك جون ..

– مسرحيات مأساويـة .. ومنها يوليوس قيصر ، هاملت ، عطيل ، أنطونيو وكليـوباترة والجدير بالذكر أن براعـة شكسبير الفـائقة فى تصوير الأحداث وتحليل العوامل النفسية لشخوص أبطال مسرحياته جعـلت الكثيـر من المؤرخين والباحـثين يتركـون المسرحـية نـفسـها لدراسة بعض التفاصيل التى تبدو بعيـدة عن الموضوع نفسه ، فمثلا .. مـتى كـتـبت هذه المسـرحيـة ؟ .. ومن من الأدبـاء الذين تأثر بهم شكسبير عند كتابته للمسرحية ؟

بل أن دراسات أدبية ذات قيمة عاليه جيدا كانت تجرى على بعض أبطال رواياته أمثال شايلـوك التاجر اليهودى فى مسرحـيته (تاجر البندقية) وعطيل القائد المغربى الأسـود فى المسرحية المعروفة بنفس الأسم و ...

وهكذا كان وليام شكسـبير أسطورة حقيقـية للأدب في كل زمان ومكان .



الشخصيات الرئيسية

أنطونيو : أحد تجار البندقية .

بسانيو

سولاينو   أصدقاء أنطونيو

سالارينو

جرايتانو

شايلوك : مرابى ، ثرى يهودى .

توبال : صديق شايلوك .

لونسلو جوبو : مهرج وخادم شايلوك .

جوبو الشيخ : والد لونسلو .

بورشيا : وارثة ثرية .

نريسا : و صيفة بورشيا .

جيسكا : ابنة شايلوك .

لورترو : حبيب جيسكا .

تدور أحداث القصة فى مـدينة البندقية ، وبعض الأحداث تدور فى مدينة بلمونت بايطاليا حيث قصر بورشيا .

★ ★ ★

الفصل الأول

الصــــك

فى أحد شوراع البندقية .. كانت مجموعة من الأصدقاء يسيرون جنبا إلى جنب يتحادثون ويتناقشون ، وكان محور كلامهم عن تجارتهم وأعمالهم ، فهم أصحاب تجارة تحملها السفن التجارية المتجهة إلى الأماكن البعيدة .. وكان أنطوينو يبدو مكتئبا شاردا وكان يقول :

- أنا لا أعرف على وجه اليقين سبب الحزن الذى يعترينى !..

فأجابه صديقه سولانيو : لا تعرف سبب حزنك !!.. أن القلق الذى ينتابك هو سبب حزنك ولاشك ؟.

وأضاف الصديق الثالث سالارينو : نعم ..إن قلقك على تجارتك كفيل بإحداث كل هذا الغم ..أنا شخصيا أكاد أموت جزعا وأنا أفكر فى سفينتى " أندرى " ، ذات الحمولة الثمينة والأخطار التى ربما تعترضها فى البحر حيث لا أمان ولا سكينة .

ولكن أنطونيو أجاب وهوعلى نفس حالته من الحزن والكآبه .

– لا .. ليس هذا هو السبب ، فمن حسن حظى أن بضائعى موزعة على أكثر من سفينة .. ومقصد هذه السفن أما كن مختلفة بالأضافة إلى أننى لم أضع كل مالى فى تجارتى هذا العام .. وبذلك ترون يا أصدقائى أن خوفى على تجارتى ليس هو سبب حزنى .. لابد أن هناك علة أخرى ..

قال سولانيو بمرح : إذن أنت تحب ..

فأجاب أنطونيو بسرعة : لا .. لا ..

فعاد سولانيو يقول : ولا تحب أيضا ؟؟.. إذن فحزنك يرجع إلى طبيعتك التى لا تعرف المرح بفطرتها .. هناك أناس مرحون بطبيعتهم وأخرون– غريبوا الأطوار – لا يعرفون الابتسامة حتى لو سمعوا نوادر تجعل الأصنام تضحك ..

وحانت من سولانيو ألتفاته ، فوجد مجموعة من الأصدقاء قادمين فى أتجاهم .. فقال لأنطونيو :

– أبشر يا أنطونيو فلن نتركك الا لصحبة أخرى عساها تكون أفضل منا ، ها هو بسانيو قادم ومعه جرايتانو ولورترو ، سنتركك الأن فلدينا بعض الأعمال .

ثم تصافح الجميع بعد أن تقابلوا .. واستأذن سولاينو فى الأنصرف قائلا :

– سنتركك الآن يا أنطونيو لصحبة أفضل منا ، لقد كان بودى أن

أبقى معك حتى أحولك إلى إنسان مرح ولكن ها قد جاءك من هم أفضل منى .

فأجاب أنطويو – كفاك ياسولاينو ، أعتقد أنك لن تتركنى إلا لدواعى عملك ، وقد وجدتها فرصة سانحة للأنصراف عندما أبصرت بساينو ورفيقيه ..

فقال سولانيو ضاحكا : هو كذلك ..والآن نودعك وإلى اللقاء قريبا .

وأنصرف سولانيو ضاحكا – هو كذلك .. والآن نودعك وإلى اللقاء قريبا .

وانصرف سولانيو ورفيقه سالارينو ، بينما بقى بسانيو وجرايتانو ولورنزو مع أنطونيو وقال جراتيانو مخاطبا أنطونيو : لست تبدو فى صحة طيبة ياسيد أنطونيو ، وإنك لشديد العناية بأمور الدينا ، أعلم يا صديقى أن الذين يخسرون الدنيا هم الذين يولونها الكثير من الأهتمام والحذر ..

فأجابه أنطونيو : الدنيا مسرح كبير يا جرايتانو .. وعلى كل امرىء فيها أن يمثل دوره ، ودورى فيها دور حزين ..

فقال جرايتانو ضاحكا : إذا كان الأمر كذلك فأنا دورى فيها هو دور المهرج الضحوك الذى يتمنى أن تحرق الخمر كبده بدلا من أن يجف قلبه من فرط الحزن ، أننى أحبك يا أنطونيو ولا أرضى لك هذا

الدور المقيت .. لا تبدو حزينا هكذا ، عش حياتك وكن مرح على الدوام ، ولا تكن كهؤلاء الحمقى ذوى الوجوه الجامدة الذين يظنون أنهم بجمودهم هذا يكتسبون مظهر الحكماء حتى إذا ماتكلموا أكتشف أنهم جهلاء أدعياء وربما مجانين ..

وقعت كلمات جرايتانو موقعا حسنا فى نفس أنطونيو الذى أبتسم قائلا :

– حسنا يا جرايتانو ، أعتقد أنك وجدت فائدة للثرثرة .

فقال جرايتانو : شكرا يا أنطونيو ..واعلم أن الصمت لا يكون محببا إلا من لسان ثور مجفف ، أو من حسناء لا يهتم العشاق بها ..

ثم انصرف جرايتانو ولورترو لقضاء بعض أعمالهما بعد أن تواعدوا جميعا على اللقاء فى العشاء وبقى بسانيو وأنطونيو وحدهما .. وقال بسانيو معقبا على كلمات جرايتانو ..

– لا تأبه لحديثه يا أنطونيو ، أن ما فى حديثه من فائدة لأشبه بحبتين من القمح فى كيسين من التبن ، لا مناص من أن تبحث يوما بطوله قبل أن تهتدى إليهما .

ضحك أنطونيو وربت على كتف صديقه بسانيو قائلا :

– والآن دعنا من كل هذا ، ولنتكلم عن تلك السيدة التى تهيم بها حبا ، والتى وعدتنى بالحديث عنها ..

تنهد بسانيو ثم ألتقط نفسا طويلا وكأنه يستعد لحديث طويل ثم

قال :

– أنت تعلم يـا أنطونيـو أننى مـشـقل بالديون وسـبب ذلك هو ، حرصى علـى الظهور بمظهر فـخم لا يجاريه دخلـى المتواضـع .. ولا تعتـقد أن حـزنى يرجع إلى هذا ، بل إلى إصـرارى على وفاء جـميع ديونى والتى يخصك منها أكبر قدر ..

فقال أنطونيو : أننى مستعد لمساعدتك بأى صورة تراها ..

استـطرد بسانيـو : كنت .. وأنا مازلت شـابا .. إذا رميت سـهمـا وفقدت أثـره ، أقوم برمى سهم أخر فى نفس اتجـاه السهم الطائش وراقبت خط سـيره بعناية وبذلك أجد الأثنين مـعا .. وفى ذلك شـىء من المخاطرة بالطبع ولكن .. الخطأ الثانى يصلح الخطأ الأول ..

قاطعه أنطونيـو : دعك من اللف والدوران .. ما الغرض من حكاية السهمين هذه ..؟.

فـقال بسـاينو : حـسنا .. أننى مـدين لك بالشـىء الكثـير ، ولقـد خسرت كل ما أستدنته منك .. فما هو رأيك لو صوبت سـهما أخر فى نفس أتجاه السهم الأول !!.

سـأله أنطونيو : ماذا تقصد؟..

قـال بساينو : تقـرضـنى مبـلغا أخـر من المال .. وسيكون أمـامك أحتمالين لا ثالث لهما .. أما أن تسـتعيد دينك القديم والجديد معا ، أو تستعيـد دينك الجديد فقط وأبقى أنا مدينا لك بأولهمـا كما هو الحال الآن .. !؟.

ضحك أنطونيو وقد أطربه حديث صاحبه وقال :

– يا لها من مقدمة ..ما عليك إلا أن تأمر يابساينو وما على إلا الطاعة ..

تشجع بساينو إزاء ما تبين له من صدق صاحبه .. فقال يشرح سبب حاجته إلى المال السريع ..

– هناك سيدة ثرية فى بلمونت .. أسمها بورشيا وهى حسناء تتفوق بحسنها على الجميع .. لذلك فأن الجميع يسعى لخطبتها وجميع خطابها الذين يأتون من جهات الأرض الأربعة من ذوى المكانة والثروة ..

سأله أنطونيو : وما شأنك بها ؟.

أجاب بساينو .. ياعزيزى أنطونيو بالرغم من عزوفها عن جميع هؤلاء الخطاب البارزين .. الا أننى أشعر بأننى .. لو أتيحت لى الفرصة سأكون منافسا قويا لكل هؤلاء .. كما أشعر بأننى سأكون – دون منازع – سعيد الحظ بينهم جميعا ..

أدرك أنطونيو غرض صاحبه .. فقال مخلصا ..

– أنت تعرف يابساينو أن كل ثروتى فى عرض البحار وليس لدى مال ولا بضائع أستطيع بها تقديم المبلغ الذى تطلبه .. ولكن لا بأس ، ما عليك الا التوجه لأى تاجر فى البندقية وأن تستدين منه بأقصى ما يمكن ، وبضمانتى ، وأنت تعلم أن الجميع يثق فى ، ولن تجد صعوبة

فى العثور على من يقرضك بضمانى ، ثم أذهب إلى بلمونت وإلى بورشيا الحسناء .. وليكن الحظ حليفك فى كل خطوه تخطوها ..

شد بسانيو على يد صديقه شاكرا .. وهو يقول :

– أحسنت يا صديقى .. أحسنت ..

★ ★ ★

كانت بورشيا الحسناء فى قصرها بمدينة بلمونت تحادث وصيفتها نريسا قائله :

– أه .. أرى جسدى الضئيل قد أضناه هذا العالم الكبير .. تصورى يانريسا من كل هؤلاء الخطاب لا أستطيع أختيار واحد منهم ! يا لشقائى ويالتعاستى .. فأنا لا أستطيع أختيار من أحب ، ولا رفض من أبغض .. هكذا تقيد مشيئة ابنة حية وصية والد ميت أليس أمراً شاقا يا نريسا الا أستطيع أختيار أحد أو رفض أحد ..

وكانت بورشيا تشير فى ذلك إلى وصية والدها لها ، بأن تتزوج بمن يوفق فى لعبة من ألعاب الحظ ، فقد كانت بورشيا تعرض على خطابها ثلاث صناديق لا توجد صورتها إلا داخل واحد منها وقد فشل جميع خطابها فى أختيار الصندوق الصحيح ..

طيبت نريسا خاطر سيدتها قائلة :

– لقد كان أبوك رجلا فاضلا ، حكيما وقد ألهمه الله الخير حين

قـربت منيتـه ، والطريقة التى أعـدها فى هذه الصناديق الثـلاثة : الذهبى والفـضى والـرصاصــى ، والتى تجـعل من يصـــادفـه الحظ بأختيار الصحيح منها ينالك زوجـة له فجعل من يهتدى إلى الاختيار الصحيح هو وحده الذى يحبك صادقا ..

تنهدت بـورشيا قـائلة : وهكذا ترين يانريســا أن زواجى مرهون بالحظ والمصــادفة .. ولكن ماذا أفـعل وتلك مشـيئة أبـى وما على إلا الطاعة ..

حاولت نريسا تغيير مجرى الحديث فسألت بورشيا :

– ولكن قول لى يا أميرتى من من بين كل هؤلاء الخطاب الذى لمس قلبك وتفتح له حبك ..

فقالت بورشيا : أه لا أتذكر يانريسا ، ولكن إن أعدت أسماءهم على مسامعى فسأكشف لك عن رأيى فى كل واحد منهم ..

قالت نريسا : أذكر أولا .. أمير نابولى .. ما رأيك فيه ؟.

أجابت بورشــيا مـبتـسمة : أه .. أمـير نابـولى .. يالـــه من غلام طائش .. أنه لا يتحدث إلا عن جواده ، وعن قدرته فى تركيب الحدوة له بنفسه وكأن أمه قد ولدته من حداد ..

ضحكت نريسا .. ثم قالت :

– وماذا عن الثانى !! حاكم المقاطعة !.

قـالت بورشيـا : ذلك الرجل العبـوس الوجه ، أن فـمه لا يعـرف

الأبتسام ، وهو كئيب بطبيعته ، أنني أفضل أن أتزوج برأس ميت على أن أتزوج به ..

وعادت نريسا تسأل :

– وماذا تقولين عن النبيل الفرنسي .. السيد ليبون !..

ضحكت بورشيا وهي تتذكر شخصية النبيل الفرنسي .. وأجابت :

– بالرغم من أنني أعلم أن التهكم خطيئة .. ولكن لا بأس .. أنه أربعون رجلا في رجل واحد . . فهو مندفع متهور .. لو لاح له خياله لبارزه ولو تزوجته فأنني كمن تتزوج مجموعة من الرجال .. لا يانريسا .. إن الحياة مع مثل هذا الزوج مستحيلة ..

نريسا – والبارون الأنجليزي الشاب !؟..

قالت بورشيا – لا أعرف عنه شيئا .. فهو لا يعرف أي لغة أستطيع أن أحدثه بها لا يعرف اللاتينية ولا الفرنسية ولا الإيطالية لا يعرف فقط الا لغة بلاده الأنجليزية التي لا أعرف عنها شيئا ، وبذلك لا يمكن التفاهم بيننا ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فأن مظهره مثل الدمية .. وكل جزء من ملابسه يرجع إلى بلد مختلفه كما أن سلوكه وتصرفاته مقتبسة من كل البلدان ..

ضحكت نريسا التي وجدت في مثل هذا الحديث متعة حقيقية يقضيان بها الوقت ، وعادت تسأل سيدتها ..

– وما رأيك فى اللورد الأسكتلندى !؟.

بورشيا – أنه وديع مسالم إلى حد كبير والطيبة المفرطة فيه ربما تحولت إلى نقيصة ..

نريسا – والشاب الألمانى أبن شقيق دوق ساكسونى ؟..

بورشيا – أوف .. سخيف جدا فى الصباح ، رذيل جدا فى المساء حين تلعب الخمر برأسه .. أنه أقل درجة من الآدميين وأكثر قربا من الوحش .. إنه أسوأ من تقدموا إلى ..

فقالت نريسا – ولكن ماذا ستفعلين لو اختار الصندوق الرابح ؟..

أجابت بورشيا : ستكون تلك الطامة الكبرى ؟ .. أسمعى يا نريسا عليك بوضع أحدى زجاجات النبيذ فوق أحد الصناديق الغير رابحة ، لاشك أنه سيختاره وبذلك أسلم منه .. آه .. لقد أثرت قلقى يانريسا .. ماذا لو نجح أى من هؤلاء فى اختيار الصندوق الصحيح .. وقد عرفت رأيى فيهم جميعا ..

هدأت نريسا من روع سيدتها قائلة :

– لا تخافى ياسيدتى .. فقد عرفت أنهم جميعا عازمون على الرحيل إلى ديارهم ..

فقالت بورشيا : فليجعل الله رحلتهم طيبة .. ولماذا سيرحلون ؟.

نريسا : لقد قرروا جميعهم أن مسألة الصناديق هذه غير لائقة ..

بورشيا : يالهم من عقلاء .. ويالرحمة السماء بى .. أننى أرجو من صميم قلبى أن يرحل كل واحد منهم .. أما عن وصية والدى .. فأنا ملتزمة بها حتى لو صرت عجوزا دميمة .. أو مت عذراء بدون زواج ..

كان الحديث الدائر بين بورشيا ووصفيتها نريسا مثله مثل أى حديث قد يدور بين فتاتين على أعتاب الزواج بغض النظر عن مركز كل منهما ، فبالرغم من أن نريسا هى الوصيفة إلا أن بورشيا الكريمة الأخلاق كانت تعاملها كند لها تبادلها الحديث وتبث إليها أشجانها وتنقل لها خواطرها .

وتطرق الحديث بينهما إلى مواضيع شتى ، وفجأة تذكرت نريسا شيئا فقالت مفاجئة سيدتها ..

– هل تذكرين يا سيدتى زيارة الماركيز مونت فيرا إلى والدك منذ أعوام مضت !!.

أجابت بورشيا وهى تتذكر : نعم .. أتذكر هذه الزيارة ..

أستطردت نريسا : وهل تذكرين الشاب الذى أتى معه ..

بدت على بورشيا علامات التفكير ثم مالبثت أن تذكرت ..

– آه .. نعم .. نعم .. أذكر هذا الشاب البندقى (من البندقية) .. بل أتذكر أسمه .. كان بسانيو على ما أعتقد ..

قالت نريسا : تماما يا سيدتى ، وهو من بين كل الرجال الذين

وقعت عليهم عيناي أجدر الجميع بسيدة حسناء مثلك ..

ظهرت علامات الخجل على وجه بورشيا ووضعت يدها على وجنتيها وهى تقول :

– نعم .. إنى لأذكره جيدا .. وأذكر أيضا أنه جدير بما ذكرته عنه ..

وبينما كانتا تتحادثان دخل الخادم وأنحنى أمام سيدته بورشيا التى سألته :

– هه .. ماذا تحمل من الأنباء !؟.

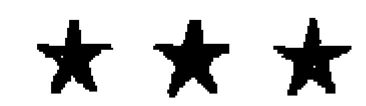
أجاب الخادم : إن الستة الأغراب يستأذنونك يا مولاتى فى الرحيل .

أبتسمت بورشيا ونظرت إلى وصيفتها ثم قالت للخادم :

– تصحبهم السلامة ..

ولكن الخادم عاد يقول : ولقد حضر أيضا رسول من أمير مراكش يقول أن سيده سيكون هنا الليلة ..

صاحت بورشيا : خطيب سابع !! يالرحمة السماء أننا لانكاد نغلق باب وراء خاطب حتى يأتى أخر يقرعه .. فليأت هذا الأمير إذن .. سواء كانت له أخلاق القديسين أو ملامح الشياطين .. هذا على ما يبدو قدرى إلى مالا نهاية ..



فى أحد ميادين البندقية كـان بسانيو يحادث شايلوك وهو يهودى قبيح فظ الطباع محب للمال ولأنه بخيلا .. يحب المال حبا جما .. فقد كان يـقوم بإقراض المـعوذين المبـالغ الـتى يطلبـونهـا مقابل فـائدة باهظة ..

وكان بسانيو قد لجأ إليه بناء على حديثه مع صديقه أنطونيو الذى قبل ضمانه لاقتراض أى مبلغ يريده ..

نظر شايلوك اليـهودى إلى بسانيو نظره مليئـة بالخبث والدهاء .. ثم سأله :

– تريد ثلاثة الآف دوقية * .. أليس كذلك ؟.

أجاب بسانيو بنفاذ صبر : نعم .. ثلاثة الآف دوقية ..

وتجاهل شايلوك الخبيث تبرم .بسانيو .. وسأله :

– تريدها لثلاثة أشهر .. أليس كذلك ؟..

أجاب بسانيو وهو يشيح بوجهه عن سحنة المرابى المقيتة ..

– نعم .. سأردها لك بعد ثلاثة أشهر ..

وكـأن اليـهـودى اللعين كـان يتـلذذ بمن جـاء يســأله القـرض .. فأستطرد يقول :

---

* الدوقية : عملة قديمة كان يسكها الدوق أمير البندقية ..

– وضامنك هو السيد .. أنطونيو .. أليس كذلك ؟.

سبانيو : نعم .. أريد ثلاثة الآف دوقيه لمدة ثلاثة أشهر وضامنى هو السيد أنطونيو ..

همس شايلوك وكأنه يحدث نفسه ..

– وأنطونيو ضامن جيد ..

فقال بسانيو بسرعة : نعم .. وهل تشك فى ذلك ؟.

وأجاب شايلوك : الصراحة .. أنه كفيل جيد ولكن ..

بسانيو : ولكن ماذا .. !!.

استطرد شايلوك وقد لاحت على وجهه أبتسامة الشيطان نفسه :

– ولكن سفن السيد أنطونيو هائمة فى البحر .. سفينة له متجهة إلى طرابلس ، وأخرى إلى الهند .. والثالثة إلى المكسيك .. وأنت تعلم يا عزيزى الشاب أن الخطر يكمن فى كل مكان .. ففى البحر هناك القراصنة وفى البر هناك اللصوص هذا إذا ما تغاضينا عن أحوال البحر نفسه وموجاته وصخوره .. ورياحه .. ولكن .. وبالرغم من ذلك فأنا أعلم جيدا أن السيد أنطونيو يمكن الوثوق بكلمته ..

بسانيو : هل يعنى ذلك قبولك ضمانة السيد أنطونيو .. وأنك ستدفع لى المبلغ المطلوب ؟..

مسح شايلوك وجهه براحة يده .. ثم أخذ يمررها على ذقنه المدببة

.. وكأنه يفكر .. إلى الدرجة التى أثارت أعصـاب بسانيو الذى سأله بحدة :

– ألا أجبتنى !!..

أجاب شايلوك : أننى فى حاجة إلى مراجعة أحوالى المالية قبل أن أقرر إقراضك هذا المبلغ الكبير ..

ولكن .. هل يمكننى أن أتحدث إلى السيد أنطونيو شخصيا !؟..

قال بسانيو : لا مانع .. هل تقبل دعوتنا إلى العشاء !..

أجاب شايلوك :

– العشـاء .. يعنى أن آكل معكم !!.. لا .. إنى أشـترى منكم وأبيع لكم .. ولا أمانع أبدا فى التـحدث معكم .. أو أن أسـير بصحـبتكم .. ولكننى أبدا لن آكل معكم أو أشرب معكم أو أصلى معكم ..

وبينما هما يتحـادثان أقبل أنطونيو .. فتوجه إليه بسانـيو مرحبا بينما قال شايلوك لنفسه وهو يلمحه آتيا ..

– لشد ما أكـره هذا المسيحى الملعون ، ذلك الذى يـقرض من ماله بدون فائدة فيؤثر بذلك على أعمـالى ويسبب لى الخسارة الفادحة .. ذلك الذى يوجه لى الأهانات كلما لمحنى حتى وسط الناس ..ويتهمنى مرارا بمـمـارسة الربا وإن أموالى كلهـا من حرام .. ما أشـد شوقى للأنتقام منه .. وياللخسران لو لم أنتهز أى فرصة لإذلاله وتحقيره ..

رحب بسانيو بصديقه أنطونيو ثم أمسك بيده وتوجه به إلى حيث

كان شـــايلوك واقفـا بهيئته المقـيتـه .. فلما تلاقى الرجـلان أنطونيو وشايلوك .. بادره أنطونيو بالحديث موجها إياه إلى شايلوك قائلا :

- هل ستلبى رغبة بسانيو يا شيلوك ؟..

هرش شايلوك فى رأسه ثم قال :

- نعم .. وإن كان المبلغ غيـر متوفر معـى حاليا ، ولكن لا بأس .. فأننى سأحصل عليه من توبال وهو من أثرياء قومى العبرانيين ..

كان أنطونيو ينظر إلى شايلوك نظره ملؤهـا الأحتقار .. كان يمقت هيئته ، ويمقت صـوته ، ولكن حاجة صديقه إلى المال ، جعـلته يتقبل مرغما الحديث مع مثل هذا الشخص الكريه .. وقال وهو لا يكاد ينظر إليه ..

- الواقع ياسيد شايلوك أننـى أرى أن إقراض المال بفائدة هو عمل بغـيض ، لا يتناسب إطلاقـا مع مـقتـضيـات المروءة والشـرف ، أنا شخـصيا لا أقـرض المال أو أقترضـه بفائدة ولكننى سـأتجاوز عن مـألوف عـادتى ، وأتغـاضى عن أهم مـبـادئى فـقط لأحـقق مطالب صديقى الملحة ..

كانت هـذه الكلمات تقع على مـسامع شـايلوك كضـرب الهراوات ولسعات السياط ..

ولكنه .. وفى سـبـيل تنفيـذ مـا خطط له ، أبتلع إهانات أنطونيـو الواضحة ، وكأنه لم يسمعها أو يستوعبها .. وقال :

– حسنا .. الواقع يا سيد أنطونيو أن ضمانتك ترضينى تماما .. أما من ناحية الفائدة فأعلم أنها أمر مشروع عندنا ..الأمر لا يختلف عن أستثمار الأموال ، وهو حق كما ترى وأى شىء فى الدنيا لن يستطيع تغيير فكرتك هذه ..

التفت أنطونيو إلى بسانيو وقال له :

– أسمعت هذا يا صديقى !! أنه يقول أن الربا أمر مشروع فى دينهم أن الشيطان نفسه ليعجز عن التشبه باليهود ..

ويبدو أن شايلوك لم يتحمل الإهانة بهذا القدر الواضح .. فقرب وجهه من وجه أنطونيو .. وقال له فى صوت يشبه فحيح الأفعى :

– يا سيد أنطونيو .. فى كل مرة تقابلنى فيها تسخر منى ، وتهزأ من شخصى الضعيف وتتهكم على طريقة تصرفى فى أموالى الخاصة .. فماذا كنت أفعل أمام سخريتك وتهكمك ! .. أهز كتفى فى صبر وتجلد ولا أنتبه لكلماتك اللاذعة ولا لسخريتك المؤلمة .. ولماذا .. لأن الصبر هو شعار أمتنا اليهودية ..

أنطونيو : ومازلت أراك شخصا غير جدير بالاحترام ...

وأستطرد شايلوك : كم مرة بصقت في وجهى ، وكم مرة ركلتنى بقدمك ناعتا إياى بالكلب الشريد .. وها قد جاء الوقت الذى تطلب فيه من الكلب مالا ولم تسأل نفسك هل بوسع الكلب أن يقرض الناس مالاً .. بل وهل يجوز للكلب أن يقتنى مالا فى الأصل !!..

كانت أنفاس شايلوك الكريهة تكاد أن تخنق أنطونيو الذى قال فى تأفف :

– ومازلت أدعوك كلبا .. ومازلت أراك وحشا بشريا لا مثيل له .. إذا أردت أن تقرضنى المبلغ المطلوب فأنت ستقرضه لى ليس بصفتك صديقا – لأنك ستتقاضى عنه فائدة .. ولكن بصفتنا أعداء ..

أجاب شايلوك : نعم .. نعم .. أنت محق فى ذلك .. ولكن هل تعرف ما يجيش فى صدرى وما أفكر فيه الآن !! .. إننى أر - مصادقتك .. ولا أريد فائدة على مالى الذى سأقرضك إياه ..

قاطعه أنطونيو : لو كنت فعلا تريد ذلك .. فأنك وبمعجزة آلهة محضة تكون قد تحولت إلى شخص لطيف ..

فرك شايلوك يديه .. وأستطرد قائلا :

– سأبرهن لك على صدق عاطفتى .. هيا بنا إلى محرر العقود لتحرر له صك القرض .. بإمضائك وحدك ..

نظر أنطونيو إلى بسانيو غير مصدق .. وعاد شايلوك يقول :

– وسنضع فى هذا الصك شرطا صغيرا على سبيل التسلية والمزاح لا أكثر ..

فسأله أنطونيو بدهشة :

– وما هو .!؟.

شايلوك : ستتعهد فى هذا الصك إنك إذا لم تسدد المبلغ فى يوم كذا وفى مكان كذا كان الجزاء رطلا بالضبط من لحمك أقتطعه من بدنك ومن الجزء الذى أختاره بنفسى ..

فغر أنطونيو فاه فى دهشة بالغة .. فمثل هذا الشرط لم يرد أبدا فى صكوك الدين أو فى أى عقد من العقود من قبل ولكنه ، وبعد تفكير سريعا أجاب :

– موافق يا شايلوك .. هيا بنا إلى محرر العقود ..

ولكن بسانيو صاح :

– أبدا يا أنطونيو .. أننى أفضل ما أنا فيه من العوز والحاجة على أن أراك توقع على مثل هذا الشرط البغيض ..

هدأ أنطونيو من روع صديقه قائلا :

– ولم الخوف يا بسانيو .!؟ أننى أتوقع رد الدين فى خلال شهرين وقبل المدة المحددة للسداد ..

وتدخل شايلوك وهو يصيح :

– يا أبانا أبراهيم .! لقد حرت فى أمر هؤلاء المسيحين الجامدى العواطف .. إن معاملتهم القاسية الجافة لتحملهم على إساءة الظن بأفكار غيرهم من الناس ..

ثم ألتفت إلى بسانيو قائلا :

- قل لى بربك .. ما الفائدة التى ستعود على من تنفيذ هذا الجزاء فى حالة عدم الوفاء بالدين ؟ ألا تعلم يا صديقى الذكى أن رطلا من لحم الماعز أو الضأن لهو أنفع لى من لحم جسم صاحبك كله !! .. ألم أقل لكما أننى سأقبل ولأول مرة .. أقراضكما المال بلا فائدة .. فما بالكما منزعجان لهذا الشرط الذى ما وضعناه إلا على سبيل التسلية ..

قال أنطونيو : سأوقع هذا الصك يا شايلوك ..

ابتسم شايلوك .. وقال :

- مرحى يا صديقى الجنيد ..ولـيبدأ الأمر عهد جديد لصداقة حميدة طالما كنت أبحث عنها .. لنذهب الآن يا صديقى إلى محرر العقود .. أما أنا فسأتوجه إلى منزلى لإحضار المبلغ المطلوب .. كذلك للأطمئنان على دارى التى تركتها فى حراسة قذر دنىء لا يؤتمن على شىء ..

ثم أنصرف شايلوك مسرعا .. وبقى أنطونيو وبسانيو وحدهما وألتفت أنطونيو إلى صديقه قائلاً :

- ها قد حصلت على مبتغاك يا عزيزى بسانيو ..

فأجاب بسانيو وهو مازال يشعر بالريبة إزاء هذا الشرط الغريب الذى أصر عليه شايلوك ..

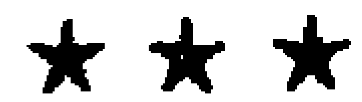
- ولكننى غير موافق على توقيع الصك بهذا الشرط ..

طيب أنطونيو من خاطره ، وقال له وهو يربت على كتفه :

– من كان يصـدق أن شايلوك سيـقرضنا بلا فائدة .. لقـد أصبح عطوفا رحيما فجأة ..

أجـاب بسـانيـو : لا .. لا أصدق أبدا فـلابد أنه يـضمـر لك شـرا مستطيرا ..

أنطونيـــو : ولم الخـوف ؟ .. أن سـفنى سـوف تصـل قـبل يوم استحقاق الصك بشـهر فنوفى هذا اليهودى دينه وتلبى أنت مطالبك .. هيا بنا يا صاحبى إلى محرر العقود وما هى الا لحظات حتى يأتينا شايلوك بالنقود ..



الفصل الثانى
اختبار الزواج

داخل قصر بورشيا كانت الأستعدادت تجرى لأستقابل أمير مراكش وحاشيته ، وقد جاء الأمير خاطبا وهو عاقد العزم ، شديد الأمل فى الفوز ببورشيا التى كانت تراه مجرد واحد من هؤلاء الخطاب الذين يطرقون بابها بصفة مستمرة ..

وفى قاعة الاستقبال .. كانت بورشيا جالسة على مقعدها وهى فى أبهى زينتها وبجوارها وقفت نريسا وصيفتها حين أعلن الخادم وصول أمير مراكش وحاشيته .. ثم نفخت الآبواق وفتحت الأبواب ليدخل الخاطب الجديد فى زيه الرسمى المهيب ، وتوجه فى خطى ثابتة وقوية تجاه مقعد بورشيا ، ولما أصبح فى مواجهتها أنحنى أنحناءة خفيفة قائلا :

- يشرفنى أن أقدم نفسى .. كما يسرنى تقبلك لهداياى المتواضعة ..

كان الأمير يبدو شابا فتيا ، ذا بشرة سمراء وقامة عملاقة ألقت انطباعا حسنا لدى بورشيا التى أومأت له برأسها بتحية هادئة ..

وأستطرد الأمير :

– لقد جئت يحدونى الأمل فى قبولك لى زوجا .. أنا أعلم أننى لست أجمل من وقعت عليه عيناك .. ولكن لتعلمى يا سيدتى أن سحنتى السمراء كثيرا ما ألقت الرعب فى قلوب أعتى الأبطال .. بل وأقسم بحبك أن وجهى الأسمر الذى تنظرين إليه الآن هو مطمع كل فتيات بلادنا ..

تأملت بورشيا وجه الأمير مليا .. ثم قالت :

– أنت يا سيدى مطمع كل فتاة فى الوجود بلا شك حتى أنا ، ولكنك تعلم الشرط الذى وضعه أبى والذى يحرمنى الاختيار .. والذى لولاه لأخترتك زوجا لى من دون جميع من طرقوا هذا الباب من قبلك .. أن هذا الشرط يربطنى ويربطك ولا بديل عنه ..

أجاب الأمير : إن قولك هذا يبعث فى قلبى سرورا لا مثيل له .. هلا أرشدتنى إلى الصناديق لأجرب معها حظى ونصيبى ..

ثم رفع سيفه أمامها وأستطرد قائلا : لقد فتك سيفى هذا بالعظماء والأبطال ، بل إننى مستطيع أن أبعث به الرعب فى أشجع رجال الأرض وأزعم أننى قادر على أنتزاع الدب الرضيع من ثدى أمه ، وأن أعترض طريقى الأسد وهو يزأر طلبا للفريسة .. كل ذلك أستطيع أن أفعله كى أفوز بحبك ..

أعترضت بورشيا كلامه الحماسى : نعم .. تستطيع أن تفعل هذا ،

ولكن فوزك بى لن يكون إلا بأختيارك الصندوق الصحيح ..

أجابها الأمير : نعم .. أن مسأله حظ مثل موضوع الصناديق هذا قد تجعل الفوز للأضعف وللأقل جدارة .. تخيلى لو كان هرقل عظيم الروم يلاعب خادمه ليكاس بالنرد .. ربما استطاع الخادم أن يرمى أكبر من رمية سيده ..ربما كان شأنى مثل هذا .. فقد ينتهى بى حظى العاثر إلى الخسارة ..وربما استطاع من هو أقل منى جدارة وأستحقاقا أن يختار الصندوق الصحيح فيفوز بك رغم تواضع أصله وصغر مواهبه ..

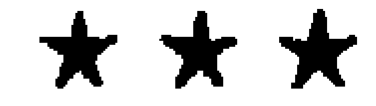
أجابته بورشيا برفق :

– عليك أن تجرب حظك ولكن هيا بنا أولا إلى العشاء الذى أعددناه خصيصا لك وبعد ذلك سنعرض عليك الصناديق الثلاثة ..

فقال الأمير : أرجو أن يكون حسن الطالع من نصيبى ، فإما أن يجعلنى هذا الأقتراع أسعد الناس .. وإما أن يجعلنى أتعسهم حظا ..

ثم خرج الجميع إلى قاعة الطعام .. وبورشيا تختلس النظرات وقد أعجبها منظر الأمير وهيئته حتى أنها همست فى أذن نريسا وصيفتها قائلة :

– أرجو أن يوفقه الله إلى الأختيار الصحيح ..



عودة إلى البندقية حيث تركنا شايلوك ذاهبا إلى داره للأطمئنان ..

وفى نفس الوقت كى يحضر المبلغ المتفق عليه كقرض لأنطونيو ..

كان لونسلو خادم شايلوك فى المنزل وحده جالساً على مقعد متهالك ينظر بعينيه إلى محتويات المنزل المتواضعة بالرغم من ثراء صاحبها الفاحش ، وكان يحادث نفسه قائلا :

– لم أعد أطيق العمل مع سيدى اليهودى هذا ، والشيطان يحدثنى ويحرضنى على أن أترك العمل عنده .. ولكن ضميرى يناشدنى البقاء فماذا على أن أفعل ؟ هل أطاوع شيطانى أم أتبع ضميرى !؟. والله أننى لفى حيرة كبيرة .. ولكن وبأستعراض حياتى مع هذا اليهودى القبيح ، أكاد أجزم أنه الشيطان نفسه وهذا يجعلنى أقول أن نصيحة الشيطان لى بترك العمل هنا ربما كانت أكثر عطفا ورحمة مما يمليه على ضميرى .. لقد عقدت العزم على الهروب من خدمة ذلك اليهودى الشحيح .. فليسامحنى ضميرى ، وليغفر لى أبى الطيب فعلتى هذه ..

وقطع تفكير لونسلو صوت خطوات قادمة ظنها خطوات سيده ، فوقف فى وسط الغرفة يتظاهر بترتيب محتوياتها ولكن القادم كان جوبو الشيخ والد لونسلو ، والذى كان ضعيف البصر إلى الحد الذى لا يمكن من التعرف على ملامح الناس ، حتى ابنه ذاته .. كان الشيخ حاملا سلة مغطاه بقطعه من القماش .. يتحسس طريقه إلى داخل منزل اليهودى فسأله ابنه لونسلو وهو يداعبه ..

– ماذا تريد أيها الشيخ ؟.

فأجابه الشيخ وهو يلمس بكفة السلة المغطاه ..

– هل هذا هو بيت السيد شايلوك اليهودى ؟.

فأجابه لونسلو :

– تريد بيت اليهودى أيها الشيخ الطيب .. إنه قريب من هنا ، ما عليك سوى السير حتى المنعطف القادم ، ثم أتجه يمينا بعد ذلك وحين يعترضك المنحنى التالى عليك بالأتجاه يسارا وتسير حتى تبلغ المنعطف الثالث والذى ستسير بضعة خطوات دون الأتجاه يمينا أو يسارا وستجد بيت شايلوك أمامك ..

وضع الشيخ يدع على جبهته وصاح :

– يا أنبياء الله .. لن أتمكن أبدا من الوصول إلى منزل اليهودى .. ولكن هل بوسعك أن تخبرنى عن شخص يدعى لونسلو كان يعمل عنده .. هل مازال فى خدمة اليهودى أم تركه ؟..

قرر لونسلو التمادى فى مزاحه .. فأجاب الشيخ قائلا :

– آه .. أنت تقصد لونسلو .. السيد لونسلو !؟.

أجاب الشيخ .. لا .. ليس السيد لونسلو .. بل لونسلو فقط فهو ابن رجل فقير .. وفقره مدقع .

قال لونسلو بصوت حزين :

– للأسف يا سيدى .. لقد مات السيد لونسلو .. صعد إلى السماء .

صـرخ الشيخ مـتألما – مـات .. مات أبنى .. مـات سندى وعكازة شيخوختى .

حدث لونسـلو نفسه قـائلا .. ماذا يرانى هذا الشـيخ .. هل يرانى هراوة أو عـامودا أو دعـامة !! ثم اسـتطرد قـائلا : لقد مـات السيـد لونسلو مقتولا .

جـوبو : لا حـقق الله قولك .. أخـبرنـى بالله عليك هل هو حى أم ميت .

أقترب لونسلو بوجهه من وجه والده جوبو .. وسـأله :

– ألا تعرفنى حقا يا أبتاه .. أنا لونسلو ابنك ..

تحسس جوبو وجه لونسلو ثم قال متشككا :

– لا .. لست لونسلو ، ولست ابنى ..

أجاب لونسلو : لا .. أنا لونسلو وأنا ابنك .. ومارجرى زوجتك هى والدتى ..

جوبو – نعم .. إن زوجتى تدعـى مارجرى .. ربما تكون ابنى إذن ، ولكن قل لى ما هذا الشـعر الذى ينبت فى ذقنك .. وما هذه اللحـية الكثيفه إذا كنت ابنى الحقيقى فقد تغيرت كثيرا .. والآن لقد أحضرت هدية لسيدك .. أين هو لأسلمها له !؟..

– أن مولاى هذا اليهودى وقح ، أتود أن تقدم له هدية ؟ .. الأجدر أن نقدم له حبل مشنقه .

ثم رفع لونسلو ملابسه ليكشف عن صدره العارى وقال :

– إنى أكاد أموت جوعا وأنا فى خدمته ، هيا تقدم وعد ضلوعى بأصابعك كى تتحقق من صدق كلامى ..

وأخذ لونسلو يعدد لوالده سيئات سيده اليهودى ، والعجوز يردد عبارات الشفقة بين الحين والآخر .. ثم أخبر الولد أباه عن نيته فى العمل كتابع لدى بسانيو الذى يشفق على خدمه ، ويقدم لهم طعاما جيدا ، ويخلع عليهم ملابس جديدة ..

فقال جوبو :

– إذا كان السيد بساينو بهذا الوصف ، فلا مانع من أذهب إليه معك وأقدم له هذه الهدية .. هل تعلم أين نجده ؟..

أجاب لونسلو : نعم .. هيا بنا ياأبتاه .. يا إلهى لا أصدق نفسى ، لقد تخلصت من خدمة هذا اليهودى القبيح .. الذى لو استمريت فى خدمته لأصبحت يهوديا ملعونا مثله ..

وتناول لونسلو ذراع والده ، وسار به إلى حيث منزل السيد بسانيو .. وللمصادفة السعيدة ، كان بساينو فى داره يعد العدة لحفل العشاء الذى سيحضره أصدقاؤه والذى سبق وأن دعا شايلوك اليهودى إليه ..

.. تقدم جوبو من بسانيو قائلا :

– ليشمل الله سيادتكم برعايته ..

فأجابه بسانيو مندهشا وهو لا يعرفه – لك عظيم الشكر .. أتريد منى شيئا أيها الشيخ الموقر ؟.

فقال الشيخ : أن والدى هذا الغلام فقير .. و

قاطع لونسلو والده قائلا : أنا خادم شايلوك ياسيدى وكل أملى أن ألتحق بخدمتك ، فلم أعد أطيق العمل مع هذا اليهودى ..

تذكر بسانيو كلمات شايلوك عن خادمه حين قال أنه ترك منزله فى حراسة قذر دنىء لا يؤتمن على شىء ، وأبتسم وهو يرى أمامه ذلك الذى وصفه اليهودى بكل هذه الصفات المخجلة ، ولكن .. لأنه يعلم جيدا حقيقة اليهودى أضمر فى نفسه الرغبة فى إلحاق ذلك الشاب فى خدمته ، فقد كان يبدو ظريفا ، مرحا .. ذا لسان لاذع .. فقال له :

– لقد قبلتك للعمل عندىْ ، ولكن أعلم جيدا أننى لست ثريا كسيدك السابق ..

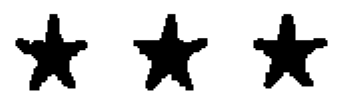
فقال لونسلو : عنده ياسيدى المال الوفير ولكن عندك ما هو أفضل ، عندك مكارم الأخلاق والفضل الكبير ..

ضحك بسانيو لكلمات لونسلو المهذبة وقال له :

– والآن .. أذهب لتستأذن مولاك شايلوك ، وعد بعد ذلك لتجد فى انتظارك كسوة جميلة ..

هنا قال الشيخ جوبو وهو يقدم السلة لبسانيو :

- الآن .. تستحق هديتى .. بضع يمامات مشوية هدية من رجل مسن أمين إلى سيده وسيد ابنه الفاضل ..



ان كان لونسلو مجرد خادم لشايلوك .. فإنه كان يعنى أكثر من ذلك لچيسيكا .. وچيسيكا هذه هى أبنة شايلوك الوحيدة وكانت تجد فى لونسلو بخفة ظله وعذوبة حديثه أنيسا ومسامرا يعينها على قضاء الأوقات المملة التى كتب عليها أن تقضيها فى منزل والدها الشحيح ..

كان لونسلو يحزم أمتعته القليلة .. وچيسيكا تنظر إليه آسفه على فراقه .. وقالت له :

- أنه ليؤسفنى قرارك ترك والدى .. وأراك محقا فى ذلك فدارنا هى الجحيم بعينه ، وقد كنت أنت شيطانا مرحا يخفف بعض ما فيها من وحشة ..

أجابها لونسلو : صديقتى يا سيدتى ، إن فراقك يؤلمنى ولو كان الأمر تعلقا بك وحدك لبقيت فى خدمتك حتى أخر أيام عمرى .. ولكن .. وكما تعلمين فأن الحياة مع والدك لا تطاق ..

هزت چيسيكا رأسها موافقه :

- نعم .. وداعا يالونسلو ..

ثم قدمت إليه بدوقية... وهذه هدية لك يا لونسلو العزيز ..

التقط لونسلو الدوقية . . وقال وكأنه يبكى :

– وداعاً .. هـذا دموعى تفـصح عن مشـاعرى .. وداعا يا أجـمل كافرة .. يـا أحلى يهودية .. وداعا .. فأنا لا أريد أن أبكى أمـامك لئلا يفقدنى هذا صفات الرجولة ..

مدت چيسيكا يدها إلى لونسلو وناولته ورقة مطوية .

– خدمة أخيرة منك يا لونسلو ..

– ماذا ؟.

– أنت الآن فى خدمة السيد بسانيو .. أليس كذلك ؟.

أجاب لونسلو .. نعم :

إستطردت چيسيكا :

– أن من أصدقائه شخص يدعى لورنزو ..

فقال لونسلو : أنا أعرفه .. ماذا عنه ؟..

قالت چيسيكا : سيكون لورنزو ضيف سيدك فى حفل عشاء الليلة ، أريد منك أن تسلـمه هـذه الرسـالة .. يجب أن تعطيـهـا له دون أن يلاحظك أى أحد .. هل تستطيع ذلك يا لونسلو ؟.

أجـاب لونسلو : مـفاخـرا .. أطمئـنى يا سيـدتى .. أعـتبـرى هذه الرسـالة فى يد السـيـد لورنزو من الآن .. أن لونسلو .. بارع كـمـا تعرفين ولكن هل لى أن أسألك سؤالا شخصيا يا سيدتى ؟..

قالت چيسيكا : أسأل ..

قال لونسلو : ما هي علاقتك بالضبط بالسيد لورنزو هذا .. هل علاقة عمل أم ماذا ..

تأوهت جيسيكا وقالت بصوت حالم :

– وأى عمل قد يكون بينه وبينى يا أحمق .. أننى أشعر بعاطفة كبيرة تجاه هذا الشاب الوسيم .. أنني مستعدة لأجله أن أهجر دين اليهودية وأعتنق المسيحية .. بشرط أن أصبح زوجته .. والآن .. أذهب يالونسلو .. وأتركني لآلامي وآمالي .. عسى أن تحمل لى بنفسك أنباء طيبه من ذلك ..

أنحنى لونسلو .. قائلا : وداعا .. وداعا يا أجمل من فى هذا البيت ..

★ ★ ★

كانت الأستعدادات تجرى فى منزل بسانيو لإقامة حفل العشاء الذى دعا إليه بسانيو أصدقاءه ومعهم شايلوك اليهودى .. وقد حضر بعض أصدقاء بسانيو للمساعدة فى هذه الأستعدادات .. وكان منهم لورنزو وجرايتانو وسولانيو .. وما أن رأى لونسلو السيد لورنزو ، حتى تذكر الخطاب الذى سلمته إياه جيسيكا واوصته أن يسلمه له خلسه وكذلك فعل لونسلو ولكنه أعطاه له فى مرأى ومسمع من الجميع .. وما أن تسلم لورنزو الخطاب حتى ضمه إلى صدره قائلا :

– أن اليد التى كتبت هذه الرسالة لأشد بياضا من الورق الذى كتبت عليه ..

صاح جرايتانو : هذه رسالة من چيسيكا إذن ؟.

أجاب لورنزو : نعم .. رسالة من حبيبتى چيسيكا .. وفيها تنبئنى أشواقها وتصف أيضا الطريقة التى ستهرب بها من منزل أبيها ..

سأله جرايتنو : وكيف ستهرب ؟..

أستطرد لورنزو : ستتنكر فى ثياب غلام .. وتأتى إلى محملة بذهبها وحليها .. أن هذه الفتاة رائعة ولا يعيبها إلا إنها ابنة يهودى كافر ..

ثم ألتفت لورنزو إلى لونسلو قائلا :

– هل ستذهب مرة أخرى إلى منزل اليهودى يا لونسلو ؟.

أجاب لونسلو : نعم .. فقد أمرنى السيد بسانيو بالذهاب إلى سيدى السابق اليهودى لأدعوه لتناول العشاء ..

فقذف لورنزو ببعض العملات إليه وقال له :

– حسنا .. أبلغ چيسيكا أنى لن أتخلى عنها أبدا . . وأحرص على أن تنقل لها هذا وهى وحدها ..

وضع لونسلو النقود فى جيبه ، ثم أستأذن فى الذهاب إلى شايلوك وما أن بلغ مقصده حتى وجد شايلوك واقفا على عتبة الباب

.. يدور بعينيه يمينا ويسارا .. فلما لمح لونسلو قادما صاح به :

– لونسلو .. أيها الحقير ..أيها الكافر بالنعمة .. أيها الناكر للجميل تركتنى إذن وذهبت إلى السيد بسانيو ..

قال لونسلو مترددا : فى الواقع يا سيدى .. فى الواقع ..

أستطرد شايلوك .. فى الواقع أنك سترى بعينيك الفرق بين شايلوك وبسانيو .. لن تنال عنده الطعام الذى يشبع فهمك كما كان شأنك عندى .. لن تنام النوم العميق الذى أعتدته فى دارى .. لن ترتدى الملابس التى كنت أهبك إياها ..

والآن .. ماذا أتى بك إلى هنا .. ألم تهجر هذه الدار !؟ .. ألم تهرب منها دون أذن منى ودون إخطارى ..

تماسك لونسلو .. وأخذ نفسا عميقا ثم قال بثبات :

– لقد جئت يا سيدى بناء على أوامر سيدى بأن أخطرك بأن العشاء قد حان وقد قرر سيدى الجديد وأصدقاؤه أن يكون العشاء فى صورة حفلة تنكرية عسى ذلك أن يدخل البهجة والسرور على قلب سيادتكم ..

صاح شايلوك مناديا ابنته ..

– جيسيكا .. جيسيكا ..

وأتت جيسيكا تقول – هل تنادى يا أبى !؟.. ماذا تريد ؟.

قال شايلوك : إنني مدعو لتناول العشاء يا چيسيكا .. ها هى مفاتيحى ..

صاحت چيسيكا بدهشة .. وهل ستذهب يا أبى ؟..

أجابها شايلوك : نعم .. سأذهب يا أبنتى .. إنهم لم يدعوننى بدافع الحب بل بدافع التملق ، والحقيقة أن قلبى غير مطمئن لدعوتهم هذه .. بل أشعر من أعماقى بأن هناك مكيدة تدبر لى .. وبالرغم من ذلك فأننى ذاهب .. ذاهب وأنا كاره لذلك ..

تدخل لونسلو فى الحديث قائلا : بربك إذهب يا سيدى .. أتوسل إليك أن تذهب فإن مولاى بسانيو ينتظرك على أحر من الجمر .. ولا تنس أن هناك حفلا تنكريا مثل ذلك الذى شاهدته من أربع سنوات مضت فى يوم الأربعاء بعد الظهر ..

صاح شايلوك .. كف عن المزاح أيها المهرج البائس ..

ثم ألتفت الى ابنته ..

– أوصيك بالدار يا چيسيكا .. أغلقى الأبواب جيدا ، ولو سمعت الطبالين والزمارين فلا تنظرى من النافذة .. فلن ترى سوى بعض النصارى الحمقى ذوى الوجوه المطلية والملابس المزخرفة .. أمنعى أصوات المجون وصرخات الخلاعة من الدخول إلى منزلى الموقر ..

ثم وجه حديثه إلى لونسلو ..

– أذهب الآن ..وقل لسيدك أننى قادم ..

أنحنى لونسلو أمامه .. ثم أقترب من چيسيكا وهمس فى أذنيها ..

– أطلى من النافذة ياسيدتى ولا تبالى بأوامر أبيك . فسيمر بك مسيحى جدير بأن تتطلع إليه عينا يهودية جميلة مثلك ..

ثم خرج لونسلو مسرعا .. أما شايلوك فقد سأل ابنته :

– بماذا كان يهمس فى أذنك ذلك المعتوه ؟..

أجابت چيسيكا بسرعة – لا شىء .. لا شىء .. كان فقط يودعنى .

فقال شايلوك – الحقيقة أن هذا المعتوه طيب القلب .. وذلك بصرف النظر عن خطاياه الخطيرة .. فهو أكول شره ، بطىء فى قضاء الحاجات ينام بالنهار أكثر من نوم القط .. الواقع أننى أفكر .. ربما كان إلتحاقه بخدمة السيد بسانيو أمر مرغوب عندى .. فهو يحفل بتبديد المال الذى اقترضه منى ..

وقاطعته جيسيكا : أبى .. ألن تذهب للعشاء ..

فقال شايلوك وهو يهم بالخروج : نعم .. سأذهب الأن ولكن لا تنسى نصائحى .. ولا تخالفى تعليماتى .. ففى اتباعها الأمان والسلامة ..

چيسيكا : وداعا يا أبى ..

ثم تمتمت فى سريرتها .. وداعا ..وإلى الأبد ..

★ ★ ★

ما أن أنصـرف اليهـودى .. حتى دخلت چيـسيكا على فـورها إلى غرفـتها ، وبسـرعة أبدلت ثيـابها ، وأرتدت ملابس غـلام ..ثم أخذت تستعـرض بعض لوازمها التى قررت أخذها معـها فى رحلة الهروب مع حبيبها لورنزو ..

وها هى إلا لحظات حـتى سمـعت من يناديها من خـارج المنزل .. كان لورنزو حبيـبها وقد أتى بصحبة أثنين من أصـدقائه .. جراتيانو وسالارينو .. وفتـحت چيسيكا النافذة ..وأطلت منهـا لتشاهد لورنزو واقفا تحتها ..

صاحت چيسيكا : لورنزو .. أهذا أنت ؟..

أجابها لورنزو : نعم .. أنا لورنزو .. حبيبك .. وأسير جمالك .

فألقت إليـه چيسيكا بعلبة بهـا كل ذهبها وحليهـا .. ثم ألقت إليه بعدها ببعض اللفافات الصغيرة وهى تقول :

– هيا .. خذ هذه اللفائف يا حبيبى .. أن بها ما يعوضك عن المشقة التى تتكبدها فى سبيل حبى ..

ثم تسلقت حافة النـافذة . . وأدلت بنفسها منهـا حيث كانت أيدى لورنزو .. وصديقه على استعداد لتلقفها .. وكانت تقول :

– يالحـيـائى .. ويالخـجلى من مـلابس الرجـال التى أرتديهـا .. ولكنهم كـما يقولون الحـب أعمى .. أن كيـوبيد نفـسه قـد لا يصدق الأفعال التى يمكن أن يأتى بها العشاق ..

فقال لورنزو : أنزلى .. أنت الآن فى أمان .. ما أبدعك فى ثياب الغلام ..

فقالت جيسكيا ضاحكة : أه .. ما أعذب كلامك .. وما ألطف عباراتك أرفعنى ثانية إلى النافذة يا لورنزو .. سأدخل غرفتى مرة أخرى وآتى بمبالغ إضافية من المال .. مكافأة لك على حبك الصادق ..

صاح جرايتانو : أقسم بأنها غير يهودية ..

فقال لورنزو : وأنا أقسم بأننى أحبها من صميم فؤادى .. وعلى اللعنة أن كنت أطيق فراقها ..

ونزلت جيسيكا مرة أخرى وقالت وهى تعدل ثيابها :

– والآن .. هيا بنا إلى الحفل ..

★ ★ ★

كان لورنزو وحبيبته جيسيكا يحثان السير فى طريقهما إلى دار بسانيو وقد سبقهما بقليل صديقيه جرايتانو وسالارينو .. وبينما هم فى سيرهم إذ قابلهم أنطونيو .. فتعجبوا لرؤيته وسألاه ..

– سيد أنطونيو .. لماذا أنت هنا !؟.المفروض أنك فى منزل بسانيو .

فأجابهم أنطونيو : ألم تعلموا بما حدث !؟.. لقد أرسل ربان السفينة بسانيو .. يخطره بوجوب الإبحار الليلة ..

ثم ألتفت إلى جـرايتانو .. أذهب بسـرعة يا جريتـانو .. فلابد أن ترحل مع بسانيو ..

صاح جرايتانو : مرحى .. سألحق به على الفور ..

ثم أخذ يعدو مـسرعا .. وبقى لورنزو وچيسـيكا وسالارينو الذى سأل أنطونيو :

– وماذا عن الحفل !؟.

فقال أنطونيو : لا يوجد حفل .. فقد رحل بسانيو صاحبها ..

ألتفت لورنزو إلى چيسيكا قائلا :

– لقد ألغى الحفل .. ماذا سنفعل ؟..

فأجابة چيسيكا : سنفعل ما نريده .: سنفعل ما هربت من بيت أبى لأجله ..

★ ★ ★

عاد شـايلوك إلى منزله بعد وقت قليل من مـغادرته .. فقـد ألغيت الحفلة ، وألغيت الدعوة إلي العشـاء ..وما أن أقترب اليهودى من داره حتى انتابه إحـساس خفى بأن خطبا ما قد حدث فـى غيابه .. وتأكد له ذلك حين أبصر نافذة چيسيكا مفـتوحة .. ولكنه قال لنفسه وكأنه يطمئنها..

– ياقلة عقل البنات .. لقد أوصيتها مرارا بعدم النظر من النافذة ..

صبرا يا چيسيكا .. سيكون حسابى معك عسيرا ..

ثم طرق باب المنزل .. وأنتظر كى تفتح له ابنته .. ولكن طال أنتظاره دون أن يفُتح الباب .. وعاد يطرقه أكثر من مرة .. ولكن .. لا مجيب ..

– أين ذهبت هذه الحمقاء !؟..

سأل نفسه حتى وهو يخرج من صدق مخاوفه .. فقد كانت محتويات الدار مبعثرة ، وبسرعة أتجه إلى حيث يحتفظ بنقوده فى صندوق خشبى قديم .. وفتحه فوجده يكاد يخلو من العملات التى كانت تملأ الصندوق تقريبا ..وأنسته تلك المفاجأة ابنته نفسها وصاح :

– دوقياتى .. نقودى .. أين ذهبت !؟.. ضاعت أموالى .. ضاعت ثروتى .. أصبحت فقيرا معدما .. يا أله السموات .. ماذا حدث !؟..

وبسرعة توجه إلى خزنة جيسيكا .. فوجدها خالية حتى من ذهبها وحليها فأخذ يلطم خديه ويصيح :

– هربت چيسيكا .. هربت بأموالى .. هربت بجواهرى .. هربت بذهبى ..

ثم خرج من المنزل يجرى ..

– ائتونى بأموالى .. ائتونى بثروتى .. أئتونى بإبنتى .. لقد هربت چيسيكا ومعها كل ثروتى ..

وتجمع الناس على صراخه .. وهم يعتقدون أنه قد أصابه مس من الجنون .. أما الأطفال الصغار .. فقد كانوا يعدون خلفه وهم يرددون كلماته ..

– أين العدالة !؟ أين القانون !؟ أين أموالى ! أين ابنتى ..

وظل يعدو والأطفال من خلفه .. حتى وصل إلى قصر الدوق .. حاكم البندقية وبعد جهد جهيد .. أستطاع الدوق أن يهدىء من روعه وقال له :

– علمنا أن ابنتك قد هربت مع المدعو لورنزو ..

لطم شايلوك خديه ..

– هربت مع ذلك المسيحى الكافر ! ؟ .. ياللعار .. ويالتعاستك يا شايلوك الفقير.. هربت مع لورنزو !؟ .. لقد هربا فى سفينة بسانيو أليس كذلك !؟..

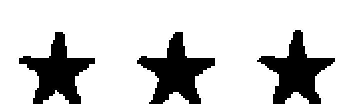
فقال الدوق : لا .. إن السيد بسانيو قد ذهب فى تجارة له .. أما ابنتك وصاحبها فيقول من شاهدهما أنهما أختفيا عن الأنظار فى أحد القوارب عاد شايلوك يلطم ويقول :

– أيها الدوق .. ياحاكم البندقيه .. ياراعى القانون ويامحقق العدالة ساعدنى فى إستعادة أموالى .. وجواهرى .. وابنتى ..

أصبح الحديث عن مأساة شايلوك على كل لسان كل اهالى البندقية .. وكان الناس يتندرون بصرخاته وهتافاته بشأن أمواله

المسلوبه بيد ابنتــه چيسيكا .. وهذا هو طبع الناس غالبـا .. فما أن يحدث أمر ما .. حتى يتداول الناس الحديـث عنه إلى أن يستجد شيئا أخر . . فيتحول الناس إليه وينسون تقريبا ما سبقه من أحداث ..

وكـان حـديث الناس الآن عن ســوء الحظ الذى يصــادفه الســيـد أنطونيو فـقد وصلت الأخبـار بغرق بعض سفنه التى تحـمل تجارته الثمينه .. ولأنه كان طيبا وكـريما بعكس شايلوك تماما .. فقد تعاطف الجميع معــه فى مصيبته الجـديدة و أشفقوا عليه من مسـتقبل مظلم عليه أن يعد العدة له ، ويعنون بذلك الصك الذى وقعه بالشرط الذى أصــر عليه شــايلوك والذى يعطى ذلك اليــهـودى اللعين الحق فى أن يقطع رطلا من لحم أنطونيـو إذا ما عــجز عن وفاء الديـن في الموعد المحـدد لقضــائه .. ومع خـسارة الشــاب أنطونيـو فى تجـارته فقـد يستحيل عليه قضاء دينه لليهودى ..



نتــرك شايـلوك فى البندقـية يندب حــظه العاثر ، ونـترك أيضــا أنطونيو الذى وصلت إليــه أنباء غرق سفنه .. ونتــرك الناس شامتين فى اليهودى ، مشفقين على أنطونيو ، لنذهب إلى شـخص أخر حائر . يعانى مآساة من نوع أخر ..

بورشــيا الجـميلة فى قـصرها بمـدينة بلمونت .. وأمـير مـراكش خطيبها الجديد يســتعد لمواجهة الأختبار الحتـمى .. اختبار الصناديق الثلاثة ..

صاحت بورشيا تأمر أتباعها ..

– أزيحوا الستائر حتى تظهر الصناديق الثلاثة أمام هذا الأمير النبيل ..

وأزيحت الستائر على الفور ، ونظر أمير مراكش فوجد أمامه ثلاثة صناديق صغيرة متراصة جنبا إلى جنب .. وقالت له بورشيا :

– هيا يا سيدى .. عليك أن تختار صندوقك ..

.. أخذ الأمير يحدق فى الصناديق .. مترددا فى اختيار أحدهما .. وكان يقول لنفسه :

– الصندوق الأول من الذهب ومكتوب عليه " سينال من يختارنى ما يرغب فيه الكثير من الناس " ..

والصندوق الثانى من الفضة ومكتوب عليه " سيظفر من يختارنى بما هو جدير به " ..

أما الصندوق الثالث فهو من الرصاص الرخيص ومكتوب عليه "يجب على من يختارنى أن يعطى وأن يقامر بكل ما يملك " .. ماذا سأختار إذن ..

كان الأمير مترددا . . يحاول فهم مغزى كل عبارة مكتوبة على الصناديق الثلاثة .. فلما طالت فترة اختياره .. نفذ صبر بورشيا فقالت تحثه :

– أيها الأمــير إن من بين هذه العلب علبــه تحتـوى على صورتى ، فإذا اخترتها فأنا والعلبة لك ..

فقــال الأمير : أمهلينى يا ســيدتى ، فأن مـصيرى باختــيارى ولا ضـرر من التأنى ثم عاد ينظر إلى الصناديق .. ويقول :

– أما الصندوق الرصاصـى .. فيجب استبعاده فلا يعقل أن توضـع صورة أجمل مــخلوقة فى الوجود فى ذلك الوعاء الرخـيص .. فضلا عن أن العبارة المكتوبة عليه تحمل توعـد أظننى أفهمه جيدا .. لا .. لن اختار هذا الصندوق ولن أقبل المقامرة عليه ..

– أما الصندوق الفضـى .. فعلى مــا يبدو لى هو الأنسب .. خاصة وأن العبارة المكتوبة عليه " سيظفر من يختارنى بما هو جدير به " .. تتناسب تمـامــا على شــأنى .. وهل هناك من هو أجــدر منى للفـوز بالحسناء بورشيا !؟.

ومد الأمير يده ليتناول الصندوق الفضـى ، ولكنه تراجع فجأة وقد طرأت فى ذهنه فكرة أخرى ..

– .. آه .. الصندوق الذهبى " ســينال من يختــارنى ما يرغب فـيه الكثيـر من الناس " ..وهل يرغب الناس إلا فى الفوز ببورشــيا ؟ .. وهل تســتحق صــورتها أن توضـع فـيمــا هو أقل من الذهب !؟ .. ألا يضـع الملوك صــورتهم على العــمــلات الذهبـيـة !؟.. أليس الذهب هو أنفس المعادن وأقيـمها .. أن صورة بورشــيا بداخل الصندوق الذهبى ولاشك .. وهذا هو الذى سأختاره ..

ثم تحول إلى بورشيا قائلا : هاتى مـفتاح الصندوق الذهبى .. فقد أخترته ..

مدت بورشيا يدها بالمتاح وأعطتـه لأمير مراكش الذى أسرع بفتح الصندوق الذهبى المخـتـار .. وما أن طالـعت عيناه مـا بداخله حـتى تراجع مذعورا ..

– يا للجـحيم .. مـاذا أجد هنا ؟.. جـمجمـة ميت .. مـاذا !؟ هناك رسالة بارزة من ثقب عين هذه الجمجمة البشعة ..

ثم مد يده وتناول الرسالة فوجد مكتوبا فيها ..

" ليس كل ما يبرق ذهبا .. ألا تعلم أن الديدان تسعى داخل القبور المـمـوهة بالذهب !؟ .. إن عـقلك لا يوازى شـجاعـتك ، وحكمـتك لا تعادل شبابك وداعا .. فقد أخفقت خطوبتك " ..

تهاوى أمير مراكش على مقعد قريب .. وصاح متحسرا ..

– لقد ضاع جهدي ، لقد تحطمت أمالى .. وداعا يا أميرتى المحبوبة ومرحبا بحياة البرود والحرمان .. سأنصرف أنصراف الخاسر ..

ثم قام من مقعده .. وأنصرف مسرعا تتبعه حاشيته ..

وألتفـتت بورشيـا إلى وصيـفتهـا نرسيـا وقالت بعـد أن تنهدت بارتياح :

– وها هو أخر يذهب بدون رجـعة .. أن لنا أن نستـريح قليلا من هذا العناء المتواصل ..

ولكن نريسا أجابتها - لا راحة ياسيدتى .. فإن أمير أرغونة قادم للاختيار وما هى إلا لحظات قليلة حتى يأتى هو وحاشيته لنعيد التمثيلية مرة أخرى ..

تذكرت بورشيا موعد قدوم الأمير خطيبها الجديد .. فقالت في يأس :

- حسنا .. فليأت هو الآخر .. لا وفقه الله فى الاختيار الصحيح وليضلله عقله إذا كان ذا عقل .. ولتخدعه حواسه إذا كانت متيقظه ..

وقبل أن تنهي كلامها .. سمع الجميع صوت الأبواق معلنه وصول الأمير .. أرغونة .. الذى دخل تتبعه حاشيته .. وأنحنى أمام بورشيا التى قالت له فى رقة :

- مرحبا بك أيها الأمير النبيل ... ها هى الصناديق أمامك .. ولكن قبل أن تختار .. هل تتذكر الشروط الثلاثة التى أقسمت على مراعاتها ؟..

فقال الأمير : نعم .. وسأسردها عليك حتى تطمئنى ..

أول هذه الشروط ألا أذكر لأحد أى صندوق اخترت ، والثانى أنى إذا أخفقت فى اختيار الصندوق الصحيح وجب على أن أكف عن خطبة أية فتاة أخرى .. والشرط الأخير هو أننى إذا أخفقت فى اختيارى غادرت قصرك من فورى ..

هزت بورشيا رأسها موافقة وقالت :

- نعم .. تلك هى الشروط التى يقسم على مراعاتها كل من يغامر فى سبيل شخصى الذى لا قيمة له ، والآن يا سيدى هيا إلى الاختيار ..

وقف الأمير يستعرض الصناديق الثلاثة المصفوفة أمامه .. يحاول فهم وتأويل العبارات المكتوبة على كل منها .. وكان يفكر ..

" لا .. لن أختار الصندوق الذهبى فهو حتما ما اختاره الجميع من قبلى .. فإنه هو نفسه ما يرغب فيه الكثير من الناس .. أما الصندوق الرصاصى فإنه يخاطب شخصا مقامرا وأنا باجبلت عليه من شرف وحكمة لا أقبل المقامرة ولا أميل للاعتماد علي المصادفة .. أظننى ساختار الصندوق الفضى الذى يحمل شعار " سيظفر من يختارنى بما هو جدير به " .. وهل هناك من هو جدير ببورشيا منى .. أنا سليل المجد والشرف ثم قال بعد أن أتخذ قراره ..

- أعطونى مفتاح الصندوق الفضى .. فقد أخترته ..

وناولته بورشيا المفتاح .. وما أن فتح الصندوق حتى وجد تمثالا صغيرا لشخص معتوه يمسك فى يده رسالة وكأنه يطلب منه قراءتها .. فمد الأمير يده وتناول الرسالة وقرأ ما فيها وكان ..

" لا مراء فى أن بين الأحياء بلهاء ، يبدون فى مظهر أسمى من حقيقتهم لقد أخفقت فى خطبتك .. إذن فأنصرف فقد أنجزت مهمتك ".

ألقى الأمير بالرسالة فى الصندوق وتحول إلى حاشيته قائلا :

– هيا .. أعدوا العـدة للانصراف .. فقد أتيت هنا أمـيرا .. وخرجت أحمق ..

ثم انحنى أمام بورشيا وخرج مسرعاً ..

★ ★ ★

تبع خروج الأمير وحاشيته دخول الخادم قائلا :

– أين سيدتى ؟..

فأجابته بورشيا : ها أنا .. ماذا وراءك ؟..

فقال الخادم : لقد جاء رجل من البندقية يعلن عن قرب قدوم سيده إلى هنا والحق يا سيدتى فإن عبارات هذا الرسول وكلماته تجعل منه سفيرا جيدا للحب ..

فقالت بورشيا : خطيب آخر على ما أعتقد ..

تدخلت نريسا الوصيفه قائلة :

– قلبى يحـدثنى أنه هو نفـسه شـاب البندقيـه .. بسانيـو ..فهـو المناسب جدا أن يأتى فى هذه الصـورة اللطيفة يسبقـه رسول متكلم أنيق العـبارات كمـا وصفـه لنا ذلك الخادم .. ليـته يكون هو .. ليـته يكون هو ..

★ ★ ★

فى أحد شوارع البندقيه كان سولانيو وسالارينو صديقا أنطونيو يتبادلان حديثا شاع موضوعه فى أرجاء المدينة كلها ..

قال سولانيـو : يبدو أن الشائعات صـحيحة .. فقـد تأكدت الأنباء بتحطـم سفينة أنطونيو ذات الحمولة الثمينة ..

أجابه سالارينو : أن هذا الشاب الطيب لا يستحق ما يحدث له .. لا تنس أن عليه مواجهة مكيدة شايلوك الكبرى

فقال سولانيو وهو يلمح شايلوك قادما :

– أه .. ها هو الشيطان بنفسه قادم ..

تقدم شايلوك منهما .. فبادره سولانيو بالسؤال :

– ما هى أخر الأخبار يا شايلوك ؟..

فأجابه شايلوك بغـيظ : أظنكما تعرفان جيدا أخر الأخـبار .. فقد هربت ابنتى مع صديقكما ..

فقال سالارنيو وهو يحاول إغاظته :

– نعم .. فنحن نعـرف الخيـاط الذى صنع الجناحين اللذين فـرت بهما ابنتك ..

شايلوك : إنها هالكة جزاء أثمهـا الذى لا يغتفر .. أيثور على لحمى ودمى ؟..

وأعترض سولانيو : يا للعار .. أين حياؤك أيها العجوز .. إن الفرق

بين لحمك ولحمها كالفرق بين الفحم والعاج .. والفرق بين دمها ودمك كالفرق بين النبيذ الفاخر والماء الآسن الراكد .. ولكن دعنا من هذا .. هل وصلتك أنباء تحطم سفن أنطونيو !؟..

وضع شايلوك يده على رأسه .. وقال أسفا :

– نعم .. وهذه مصيبه أخرى .. ذلك الشاب المغرور أصبح مفلسا متسولا .. صديقكما الذى أهاننى ووصفنى بالكلب أكثر من مرة أصبح معدما .. حسنا .. أظنه سيعجز عن الوفاء بدينه ولن يكون أمامه سوى الوفاء بالشرط الذى أتفقنا عليه ..

فقال سالارنيو : ولكن بماذا سيفيدك أستقطاع جزء من لحمه ؟.

أجاب شايلوك مبتسما :

– ماذا سأستفيد ؟.. هذا شأنى وحدى .. سأجعل لحمه طعاما للأسماك .. أو حتى للكلاب .. آه .. أنه دائما كان يهيننى ويصغر من شأنى أمام الناس .. ويسبب لى الخسارة الفادحة بإقراضه المعوزين بدون فائدة .. وكل ذلك يفعله بحجة أننى يهودى ..

ثم قرب وجهه من وجه سالارينو وأستطرد يقول :

– قل لى .. ما الفرق بين اليهودى وبين أى إنسان أخر .. أليس لليهودى عينان .. ويدان .. وعواطف وأحاسيس !؟ . أليس اليهودى يمرض .. أليس يبكى ويضحك .. !؟ الا يؤلمه وخز الدبوس ؟.. ألا يموت لو وضع السم فى طعامه ؟.. أليس هو مثلكم فى كل هذا ؟..

أجابه سالارينو وهو يشيح بوجهه متفاديا أنفاسه الكريهة :

– نعم .. نعم ..

وأستطرد شايلوك .. لو ظُلم اليهودى .. أفليس من حقه الانتقام .. لقد ظلمنى أنطونيو وبذلك يحق لى أن أنتقم .. ولست فى ذلك آتيا بنظام جديد أو طبع حديث يخالف طبائعكم أنتم أنفسكم ..

كانت كلمات اليهودى تفيض حقدا وكراهية الأمر الذى جعل سالارينو يجذب سولانيو من ذراعه قائلا :

– هيا بنا بعيدا عن هذا المعتوه .. ولنذهب إلى أنطونيو فى داره فلربما كان حاجة إلينا ..

قال شايلوك وهو يراهما يبتعدان :

– نعم .. أذهبا إلى صديقكما وبشراه بقرب مصيره المفجع ..

.. وفى تلك اللحظة .. أتى توبال وهو يهودى وصديق شايلوك وتلقاه هذا قائلا .. أهلا توبال .. هه .. ما الأخبار !؟ .. هل عرفت مكان چيسيكا ؟.

فأجابه توبال : لا .. لم أهتد إلى مكانها بعد ..

صاح شايلوك : يا ويلى .. يا ويلى .. لقد سرقت منى ماسة ثمنها ألفى دوقيه .. وحليها يتجاوز ذلك بكثير .. الملعونة .. ليتها تموت .. ليتها ما كانت .. هه .. اذا عندك من أخبار أخرى يا توبال ؟..

فقال توبال : لقد تحطمت سفينه أخرى لصاحبك أنطونيو .. والشائعات تقول أنه أصبح مفلسا تماما ..

هلل شايلوك : مرحى .. مرحى .. هذا خبر سار ..

ولكن توبال عاد يقول : ولك أيضا خبر آخر ربما يهمك ..

شايلوك : وما هو ؟..

توبال : لقد أرانى أحد التجار خاتما أخذه من چيسيكا .. خاتم من الزبرجد ..

قال شايلوك : نعم .. نعم .. الخاتم الزبرجد ذلك الذى أعطتنى أياه ليحا زوجتى أيام خطوبتنا .. ولكن .. ما الذى أوصل هذا الخاتم إلى التاجر ؟.

أجابه توبال : لقد أخذه من أبنتك ثمنا لقرد ابتاعته منه ..

لطم شايلوك خديه وصاح منهارا ..

– الويل لها .. الويل لها .. أن غابة من القرود لا تساوى هذا الخاتم الثمين ..أتشترى بأموالى قرودا .. تلك المعتوهه البلهاء !؟.. قرد واحد مقابل خاتم ..

ماذا ستفعل بعد ذلك !! هل ستستبدل بأموالى حيوانات وحشرات !؟..

وحاول توبال أن يعيد شايلوك إلى صوابه فقال :

– ولكن أنطونيو أفلس ..

وتبدلت أحوال شايلوك تماما .. وتمالك نفسه وهدأت ثورته وقال :

– نعم .. هذا ما يبدو .. أفلس أنطونيو .. أفلس غريمى وعدوى والآن يا توبال علينا أن نعد العدة للانتقام .. أستأجر شرطيا .. فقد بقى أسبوعان على حلول موعد الوفاء بالدين ، وليكن هذا الشرطى مستعدا .. وليضع أنطونيو تحت المراقبة .. أن الأوان كى تبقى البندقية لى وحدى .. يالفرحتك يا شايلوك .. يا لحسن حظك ..

ويالتعاستك أيها الشاب المتغطرس .. بقى أسبوعان وتصبح ملكى .. بقى أسبوعان تفقد بعدها رطلا من لحمك البض .. هيا يا توبال إذهب وافعل كما أوصيتك به .. فالسعادة فى انتظارنا ..

وأنصرف توبال .. وتبعه شايلوك ..

★ ★ ★

إلى بلمونت مرة أخرى .. وقد ساد قصر بورشيا جو جديد من المرح والتفاؤل .. الخدم يروحون ويغدون وبورشيا سعيدة بقدوم بسانيو الذى جاء بصحبته صديقه جرايتانو .. ونريسا سعيدة لسعادة سيدتها التى كانت تخاطب بسانيو قائلة :

– هل ستوفق فى اختيار الصندوق الصحيح يابسانيو ..

أجابها بسانيو : أسأل الله أن يوفقنى .. ألا تسألينه ذلك أيضا ؟..

أجابته بورشيا بصوت حالم :

– نعم .. أسأل الله أن يوفقك إلى الاختيار الصحيح .. بل أننى أتمنى لو كان فى وسعى أن أرشدك إلى الصندوق الذى يحوى صورتى ولكننى أكون بذلك قد حنثت بيمينى ..

فقال بسانيو : لا .. أتركينى اختار لئلا تحنثى بيمينك واعلمى أننى سواء اخترت جيدا أم لا فأننى أحبك ..

أجابته بورشيا فى لوعة : فلنؤجل الاختيار إذن كما تتاح لى الفرصة لأبقى بجانبك زمناً أطول ..

بسانيو : دعينى أواجه حظى ..

قامت بورشيا : وسارت يتبعها بسانيو والأخرون إلى حيث كانت الصناديق الثلاثة .. وأمامها توقفت وأشارت إلى بسانيو قائلة :

– هيا يا سيدى .. وليسدد الله خطاك ..

تقدم بسانيو .. ونظر إلى الصناديق الثلاثة وهو يغنى ..

حدثونى أين ينشأ الغرام ؟

أفى القلب .. أم فى العقل ..؟

كيف يولد ؟

وما هو غذاؤه ؟.. أجيبونى ..

إنه يولد فى العينين .. ويتغذى بالنظر ..

ولكنه يموت .. يموت فى المهد .. الذى يولد فيه .

.. ثم عاد ينظر إلى الصناديق .. ويقول بصوت يسمعه الجميع ..

– أولا الصندوق الذهبى .. وهوأولى بالاختيار غالبا .. ولكن أيها الذهب البراق . . أليس أنت من تتحلى به النساء النزقات خفيفات العقل ؟..

ألست عنوانا للبهرجة والزينة والتى تستر خلفها السطحية والضحالة؟..

لا .. لن اختار هذا الصندوق فلست من تخدعهم الزخارف وتستهويهم المظاهر ..

وكذلك أنت أيها الصندوق الفضى .. فالفضة يتداولها جميع الناس .. ولم تعد ذات قيمة تقريبا بعد شيوعها وأنتشارها ..

أما أنت .. أيها الرصاص الرقيق فإن صمتك أبلغ عندى من حديث الذهب وكلام الفضة .. ساختارك .. أيها المعدن الساذج البسيط ..

ثم أشار إلى بورشيا طالبا مفتاح الصندوق المصنوع من الرصاص .. فلما فتحه وجد صورة بورشيا أمامه .. وصاح بسانيو :

– يا إلهى .. أى فنان هذا الذى أوتى القدرة ليصنع هذا التمثال .. ما أبزعه من فنان ..

ثم مد يده وتناول رسالة موضوعة بجانب تمثال بورشيا .. وقرأها بصوت مسموع :

" أنت يا من لا ينساق فى اختياره وراء الطلاء الخارجى ليكن حظك باهرا واختيارك سديدا .. أن اختيارك سيحقق لك أقصى درجات السعادة "..

.. هلل الجميع لنجاح بسانيو فى هذا الاختيار الذى صعب على الكثيرين من قبله اجتيازه .. وسمحت بورشيا لحبيبها أن يعانقها وهى تقول فى سعادة بالغة :

- أنا الآن ملكك .. ومالى الآن ملكك .. لقد كنت حتى هذه اللحظة سيدة هذا القصر الجميل ، ومولاة خدمى .. ومالكة أمرى .. أما فى هذه اللحظة .. فقد صار هذا القصر ، وهؤلاء الخدم ، وأنا نفسى ملكا لك يا مولاى ..

ثم خلعت خاتما من أصبعها وأضافت :

- واسمح لى أيضا أن أهدى اليك هذا الخاتم الذى أوصيك بحفظه ، فإذا فرطت فيه ، أو فقدته فذلك نذير بانتهاء حبك لى ..

قبل بسانيو يدها ،وتناول الخاتم منها ووضعه فى إصبعه قائلا :

- لو تيسر لدمائى التحدث لتحدثت عن حبك ، ولو بحثت فى ألفاظ الدنيا ما وجدت لفظا يناسب وصف سعادتى ومقدار فرحى ، أما خاتمك هذا فهو معى دائما .. فأن سمعت أنه ليس فى إصبعى ، فأعلمى أن بسانيو .. حبيبك .. قد مات ..

.. كان جرايتانو صديق بسانيو ينظر فى هذه اللحظة إلى نريسا

وصيفة بورشيا ..ولاحظت بورشيا أنـهما يتبادلان أشارات معينة .. فسألت جرايتانو : هه .. يا سيد جرايتانو هل هناك شيء لا أفهمه يحدث هنا فى هذه الغرفة ؟..

أجابهـا جرايتانو : الحق يا سيـدتى أن لى طلبا لا أظنك ترفضـيه وقد ذقت بنفسك حلاوة الحب وطلاوة اللقاء ..

قالت بورشيـا : تكلم .. فطلبك مجاب ولا تنس أنك صديق حـبيبى ومولاى ..

فقـال جرايتانـو مترددا : أننى أود الزواج من نريسـا التى خطفت قلبى بمجرد أن وقعت عليها عيناى .. فإذا وافقت على ذلك فليكن يوم قرانكما أنت وبسانيو هو نفس يوم قراننا أنا ونريسا ..

صـاحت بورشـيـا : مـرحى .. ها هى الأفـراح تأتى بالجـملة فى هذهالدار التى أفتقدت السعادة سنوات طوالا .. ما رأيك يا نريسا ؟..

أجـابت نريسـا بحيـاء : حـسنا يا مـولاتى .. أنا راضـية مـادمت سترضين عن ذلك ..

فصـاح جرايتـانو : يا للسعـادة .. أنا وصديقى سنتـزوج فى يوم واحد .. يحسن بنا أن نتراهن أينا سيأتى قبل الآخر بالولد ..

فى تلك اللحظة جاء الخادم معلنا قـدوم رجال من البندقية يقولون أنهم من أصدقاء بسانيو ، فهتفت به بورشيا :

– أدخلهم فورا ..

ودخل لورنزو وخطيبته چيسيكا ومعهما سولاينو ، فقابلهم بسانيو مرحبا .. وبعد التحيات والترحيب اللائق قال لورنزو ..

– الواقع يا بسانيو أننى كنت متوجها مع چيسيكا إلى وجهة أخرى ، ولكننا قابلنا سولانيو فى الطريق حيث أخبرنى بأنه آت إليك برسالة من أنطونيو وسألنى أن أتوجه معه إلى هنا ..

قال بسانيو بلهفة : رسالة من أنطونيو .. ترى ما هو حاله ؟.

ثم تناول الرسالة من سولانيو وقرأها بسرعة ثم ألقاها جانبا وتحول إلى صديقيه بوجه شاحب وقال بصوت يملؤه الحزن ..

– لقد باءت تجارة أنطونيو بالفشل ، لم تعد واحدة من سفنه ..كلها غرقت ..

قال سولانيو : نعم .. إن صديقنا أنطونيو فى حالة يرثى لها خاصة أنه قد أصبح الآن تحت رحمة شايلوك وقد علمت أن هذا اليهودى اللعين يصر على تنفيذ الشرط الوارد فى صك الدين ..

.. وأضاف لورنزو : هذا على الرغم من ألحاح الدوق حاكم البندقيه وكبار التجار ..

بسانيو : كل ما سيحدث لهذا المسكين سيكون بسببى ..

وتدخلت چيسيكا فى الحديث الدائر بين الأصدقاء .

– لقد سمعت أبى يقسم لتوبال بأنه يفضل رطل اللحم من جسد أنطونيو على عشرين ضعف مبلغ الدين وأننى أعرف أبى جيدا وهو

لن يتنازل أبدا عن شرطه ..

.. كانت بورشـيا تسمع ما يقـال غير مـستوعبـة لحقيقـة الأمر .. جاهلة بتفاصيله .. فسألت بسانيو :

– أعزيز عليك هذا الرجل الذى يتحدثون عنه ؟.

فأجـابها بسانيو بحـماس : إنه أعز أصدقـائى .. وهو أشد الناس عطفا وأنبل من رأيت خلقا .. وأكثر الناس ميلا إلى فعل الخير ..

ثم أخذ يقص عليها تـفاصيل ما حدث من حاجتـه للمال ، وضمانة أنطونيـو له وقبـوله توفيـه صك الدين بهذا الشـرط المخيف .. فلـما عرفـت بورشيـا بالأمر سـألت بسانيـو .. وما هو مـبلغ الدين الذى يطالب به اليهودى ؟..

أجابها بسانيو : ثلاثة الآف دوقيه ..

فقالت بورشيا : أهذا هو كل الدين ؟.. إذن .. أدفع لليهودى ضعف هذا المبلغ .. بل ضاعـفه له مرة أخـرى .. المهم ألا يفقـد هذا الصديق الوفى شعـره من جسـده .. ولكن .. لنتوجـه أولا إلى الكنيسـة حيث نعقـد قراننـا ثم لنذهب بعـد ذلك إلى البندقيـة ومعك مـا يلزم لوفاء الدين ..

تأثر بسانيو تأثرا شديدا بوفاء رفيقته .. فناداها ..

– بورشيا .. أيتها الملاك ..

ولكنها قاطعته قائلة :

– ستذهب أنت وحدك ... وبعد أن توفى دين هذا الصديق ، عد به إلى هنا .. ستتركنى الآن زوجه لك .. ولكننى سأعيش عيشة العذارى أو الأرامل حتى تعود .. وأعتقد أن نزيسا توافقنى على ذلك ..

هزت نريسا رأسها موافقه ..

عادت بورشيا تقول : والآن .. أذهب يا حبيبى لترتب أمورك .. وسافر فأجابها بسانيو وهو يخرج من الغرفة :

– سأعجل بالسفر .. كما سأعجل بالعدوة بعد تخليص صديقى من براثن اليهودى ..

★ ★ ★

سافر بسانيو إلى البندقية بصحبة جرايتانو ومقصدهما نجدة صديقهما المحتاج أنطونيو ، وبقى لورنزو وچيسيكا فى قصر بورشيا التى أخبرت لورنزو بأنها ستذهب مع وصيفتها نريسا إلى الدير ليعيشا عيشة الراهبات حتى يرجع زوجاهما من مهمتهما المصيرية .. وكلفته بإدارة شئون القصر فى غيابها .. وطلبت منه أن يستقر فيه هو وچيسيكا ويتصرفان فى كل شىء كما لو كانا أصحاب هذا المكان ..

ثم أستأذنت بورشيا وخرجت مع وصيفتها نريسا بحجة إعداد العدة للذهاب إلى الدير ..

وفى غرفتها .. قالت بورشيا لوصيفتها :

– حسنا يا نريسا .. لا تصدقى حكاية الدير هذه .. أن زوجينا يحتاجان إلى مساعدتنا ..

تعجبت نريسا من قول سيدتها وسألتها :

– لا أفهم ما تعنين يا سيدتى ؟..

قالت بورشيا : ستفهمين مقصدى .. الأن .. أطلبى تابعنا بالتزار فسأكلفه بمهمة عاجلة ..

نادت نريسا على بالتزار ، التابع الأمين .. فلما جاء قالت له بورشيا :

– بالتزار .. أننى أعرفك أمينا مخلصا .. خذ هذه الرسالة وسافر بها فورا إلى بادوا وأذهب إلى ابن عمى الدكتور بيلاريو وسلمه الرسالة .. ثم تسلم منه ما سيعطيه لك من أوراق وملابس وعليك أن تحضر ما سيعطيه إياك إلى البندقيه حيث سأكون فى أنتظارك تذكر يا بالتزار .. يجب أن يتم كل ذلك بأقصى سرعة ممكنة ..

تناول بالتزار الرسالة من سيدته بورشيا وخرج مسرعا لتنفيذ ما طلبته ..

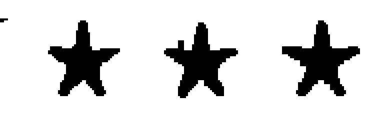
وتحولت بورشيا إلى نريسا التى كانت تقف فى وسط الغرفة تبدو على وجهها علامات الدهشة والحيرة ..

قالت بورشيا : سنذهب إلى البندقية .. متنكرين فى ملابس الرجال .

فسألتها نريسا : ملابس الرجال .. أنا لا أفهم شيئا ..

فأجابتها بورشيا وهى تدفعها أمامها :

– هيا بنا .. سأحيطك علما بخطتى كلها ونحن فى العربة التى تنتظرنا أمام باب الحديقة .. هيا بسرعة .. فما زال أمامنا مسافة طويلة لنقطعها ..



الفصل الثالث

المحاكمة

كان اليوم هو الموعد المحدد لإنعقاد المحاكمة التى طلبها شايلوك ضد خصمه أنطونيو .. وأكتظت القاعة المخصصة لها بالأعيان والتجار وبعض الجمهور الذين جاءوا لمتابعة أحداث هذه المحاكمة الفريدة ..

ثم أتى الدوق حاكم البندقيه وهونفسه القاضى فى هذه المحاكمة الغريبة .. وبدأت الإجراءات ..

.. قال الدوق : هل أنطونيو هنا ؟..

أجاب أنطونيو الذى كان واقفا فى وسط القاعه .. ، ومن خلفه كان أصدقاؤه بسانيو وجرايتانو وسالارينو ..

– إنى هنا رهن إشارة سموكم ..

نظر الدوق إلى أنطونيو مشفقا .. ثم قال موجها حديثه إليه ..

– إني أسف لما أصابك يا بنى ، إنك تواجه خصما قدّ قلبه من الصخر مجرداً من الإنسانية ، فاقد الأحساس بالشفقه لا يعرف العطف أو الرحمة ..

فقال أنطونيو شاكراً :

– لقد عرفت أن سـموكم قد بذلتم جهـدا عظيما لتخفـفوا من شدة مطالبه لكنه أتخذ موقف العناد ..

تلفت الدوق مستعرضا وجوه الحاضرين ثم قال :

–ليتوجه أحدكم لاستدعاء اليهودى ..

فقال سالارينو : أنه بالباب .. مستعد للدخول يا مولاى ..

ودخل شايلوك بخطى واثقة وعلى وجـهه أمارات الخبث والدهاء .. ووقف أمام الدوق .. الذى قال :

– هه أيها اليهودى .. ألازلت مـصرا على دعواك ؟.. أننى أتمنى أن تعرف الشفقة طريقهـا إلى قلبك .. خاصة وأنك لابد عارف بالخسارة التى منى بها هذا الشاب المسكين ..

أجاب شايلوك شامتا :

– لقد أقـسمت بالسبت المقـدس أن آخذ حقى .. فإن رأيت سـموك غـير ذلك .. فـإنك تكون قد خـالفت القـانون .. وتقوض بذلك أنظمـة مدينتكم وحـرية التجارة فيـها .. ستـسـألنى ماذا سيـفدنى رطل من لحم غريمى ؟ .. فأقول لك أن هذا شأنى .. تمامـا كما لو دفعت عشرة الآف دوقية لرجل كلفته بأصطيـاد فأر يعبث فى منزلى .. أنا حر فى مالى .. أنا حـر فيمـا أملك .. إذا أردت أجابة صريحـة عن سؤالك .. فأعلم أننى أكره أنطونيو .. أكرهه كرها شديدا ..

قال الدوق مشمئزا : يا لها من أجابة ..

فقال شايلوك بعناد : لست ملزما بأن تعجبك إجاباتى ..

هنا تقدم بسانيو حاملا كيسا قدمه إلى شايلوك قائلا :

– هذه ستة الآف دوقيه .. خذها مقابل ألافك الثلاثة ..

وأنتظر الدوق وجميع الحاضـرين جواب شايلوك على هذا العرض السخى .. ولكن شايلوك قال :

– لا .. لا أقبل حتى أضعاف أضعاف هذا المبلغ ..ولا أقبل إلا تنفيذ شرطى ..

ثم ألتفت إلى الدوق ..وإلى جمهور الحاضرين وقال :

– حسنا .. لو شئـتم مخالفة القانون فهـذا شأنكم ولكن أعلموا أن ذلك سيلحق العار بقضائكم .. وستفقد قوانينكم مصداقيتها ..

وفى تلك اللحظة أتى الحاجب مخطرا الدوق بوصول رسول قادم من بلدة بادوا حيث موطنى بيلاريـو رجل القانون الضليع .. فـأمر الدوق الحاجب بالسماح للرسول بالدخول ..

وأنتهز بسانيو توقف المحاكمة هذه اللحظات القليلة .. فـتقدم من أنطونيو مشجعا ..

– لا تحزن يا أنطونيو .. فعلى اليهودى أن يقتلنى أولا قبل أن تفقد أنت نقطه من دمك ..

وأجابه أنطـونيو بحزن : لا يا بـسانيو .. لا أمل لدى .. وسـيكون من الأفضل أن تبقى أنت لتكتب كلمة ترحم على شاهد قبرى ..

ودخل الرسـول القـادم من بادوا .. وكان هـو نفســه نريســا التى تنكرت فى ملابس الرجال تنفيذا للخطة التى وضعتها بورشيا ..

.. سأل الدوق نريسا (المتنكرة) .. أقادم أنت من بادوا ..

أجابت نريسا : نعم .. ومعى رسالة مـن السيد بيلاريو الذى يبعث إلى سموكم بأخلص تحياته ..

مـد الدوق يده وتناول الرســالة .. وقـرأ ما فـيـهـا .. ثم تلفت إلى نريسا قائلا ..

يقـول بيلاريو بأنه كلف مـحـامى شاب من تلامـيذه للدفـاع عن أنطونيو ..

فأين هو ذلك الرجل ..

أجابت نريسا : أنه بالخارج يا مولاى يطلب الأذن بالدخول ..

فقال الدوق : فليدخل بكل سرور ..

.. ودخلت بورشـيا مـتنكره فى زى مـحام شــاب .. ووقفت أمـام الدوق بأحترام ..

فسألها : أقادم أنت من عند العلامة بيلاريو ..

أجابت بورشيا : نعم يا مولاى ..

أشار الدوق إلى الرسالة التى حملها رسول بيلاريو وقال على مسمع من جميع الحاضرين ..

– أن الشيخ بيلاريو يزكى شخصك ، ويثنى كثيرا على علمك ونباهتك هل أنت ملم بتفاصيل القضية ؟ هل تعرف أسباب الخلاف المثار حاليا أمام المحكمة ؟.

أجابت بورشيا : نعم يا مولاى .. أسمح لى أن أستدعى أطراف القضية اليهودى والتاجر ..

صاح الدوق : تقدما .. وقفا فى وسط القاعة ..

تقدم شايلوك .. ثم أنطونيو .. ووقفا أمام المحامى الشاب .. الذى أخذ ينظر إليهما متأملا . ثم سأل الشيخ ..

– أسمك شايلوك ؟.

أجاب شايلوك : نعم .. أسمى شايلوك ..

أستطردت بورشيا : إن القضية التي تثيرها من نوع عجيب .. وعلى ذلك فأن قانون البندقية لا يمنع السير فى إجراءاتها ..

ثم التفتت إلى أنطونيو وسألت :

– وهل أنت الطرف الآخر !..

أجابها أنطونيو : نعم ..

وعادت تسأله : وهل تعترف بهذا الصك !؟..

أجاب أنطونيو بشهامة : نعم أعترف ..

.. عادت بورشيا تواجه شايلوك قائلة ..

– إنه يعترف بصحة الصك .. ألا يستدعى ذلك الرحمة منك ؟..

أجابها شايلوك : إننى متمسك بالقانون ومصر على توقيع العقوبة المنصوص عليها في الصك ..

.. ووجهت بورشيا خطابها للحاضرين ..

– أعاجز هذا التاجر المسكين عن أداء الدين ؟..

هنا رفع بسانيو يده بالكيس الذى يحمله وقال :

– أنى أقدم له دينه الآن فى قاعة المحكمة ..ومستعد لمضاعفة المبلغ .. مستعد لدفع كل ما يطلبه هذا اليهودى .. أسألكم أيها السادة أن ترحموا هذا المسكين .. فالرحمة فوق القانون .. والقانون يجب أن يخضع لسلطانكم فى مثل هذه الحالات ..

أعترضت بورشيا قول بسانيو :

– هذا مالا يمكن أن يكون .. ليس فى البندقية سلطة يمكنها أن تلغى قانوناً مقررا ..

صاح شايلوك فرحا :

– ما أعلى قدرك عندى أيها المحامى البارع ..

مدت بورشيا يدها إلى شايلوك قائلة :

– أطلعنى على الصك أيها الشيخ ..

فقدمه لها اليهودى .. فلما طالعته .. قالت :

– لقد فات موعد هذا الصك ولهذا فإننى أرى أنه من حق اليهودى أن يطالب برطل من اللحم يقتطعه من جسد هذا التاجر ..

.. كان اليهودى يسمع أقوال المحامى وهو يكاد يطير فرحا إلى الدرجة التى جعلته يخرج سكينه ويشحذها على نعل حذائه ..

.. توجهت بورشيا إلى إنطونيو قائلة :

– أكشف عن صدرك أيها الشاب .. فلابد أن يقتطع اليهودى رطلا من لحمك ..

ثم سألت : هل يوجد هنا ميزان لوزن اللحم ؟..

فقال شايلوك : نعم .. لقد أحضرت معى ميزانا ..

قالت بورشيا : حسنا .. جهز سكينك .. وأضبط ميزانك .. ولكن هل أحضرت الجراح ؟..

سأل شايلوك بدهشة : جراح !؟ .. وما حاجتنا إليه ؟..

أجابت بورشيا : يجب أن تحضر جراحا على نفقتك الخاصة يا شايلوك .. لكى يوقف دماء الجرح الذى ستحدثه فى صدر التاجر ..وحتى لا يموت من النزيف ..

فقال شايلوك متحيرا :

– ولكننى لا أرى هذا الشرط فى العقد ؟..

عادت بورشيا تقرأ الصك .. ثم قالت :

– نعم .. نعم .. لا يوجد شرط بذلك ..والآن .. جاء موعد تنفيذ الحكم .. أقتطع رطلا من لحم خصمك يا شايلوك .. ولكن إياك أن تريق نقطة دم واحدة وأنت تقتطعه .. فلو فعلت ذلك فستصادر كل أملاكك وبضائعك طبقا لقانون البندقية ؟..

.. فوجىء شايلوك بهذا التحذير ، وسأل :

– وكيف سأقتطع اللحم دون أراقة الدماء !؟ كيف !؟..

قالت بورشيا : راجع نص الصك يا شايلوك .. ان الألفاظ تنص على رطل من اللحم " ، فقط .. وليس هناك كلام عن دماء .. أليس كذلك !؟..

سُقط فى يد اليهودى ، ووضع رأسه بين كفيه بينما صاح جرايتانو مهلا .. يالك من محامى بارع .. نعم خذ لحمك أيها اليهودى بدون أراقة دماء .. أرنا كيف ستفعلها !؟..

رفع شايلوك رأسه .. وقال موجها حديثه لبورشيا :

– فى هذه الحالة .. فإننى أقبل ما يعرضه التاجر .. ليؤد ثلاثة أمثال الدين ويذهب لحال سبيله ..

تقدم بسانيو بسرعه مقدما النقود لليهودى ، ولكن بورشيا أعترضت طريقه قائله :

- مهلا .. إن اليهودى يطلب العدالة ، وسينالها ..

ثم تحولت إلى شايلوك قائلة :

- هيا أيها اليهودى ..أقطع اللحم ولكن أياك أن تريق دما ..وإياك أن تقطع أقل أو أكثر من الرطل .. فلو زاد ما تقطعه أو نقص عن وزن حبة قمح .. فسيكون مصيرك الموت وستصادر كل أملاكك ..

أحس اليهودى بما يدبر له فصاح مستغيثا ..

- لا أريد لحما .. بل أريد رأسمالى فقط ..

فقالت بورشيا : لقد رفضت النقود أمام المحكمة .. وبذلك يسقط حقك فى المطالبة بها .. من حقك فقط رطل اللحم وبالشروط التى سبق بيانها ..

صاح اليهودى يائسا :

- فلتنته هذه المحاكمة .. وليحتفظ أنطونيو بالمبلغ وليذهب إلى الشيطان وهم شايلوك بالخروج من القاعة ولكن بورشيا اعترضت طريقه قائلة :

- مهلا أيها اليهودى .. إن للقانون حقا أخر عليك ..

صاح شايلوك : حقا على .. ما هو ؟..

قالت بورشيا : إن قوانين البندقيه تنص على أنه إذا ثبت أن أجنبيا تآمر على حياة مواطن فإن من حق ها المواطن أن يحصل على نصف

ممتلكات هذا الأجنبى . على أن يؤول النصف الآخر إلى خزانة الدولة ..

لطم شايلوك خديه وأخذ يولول فى قاعة المحكمة .. ولكن بورشيا استطردت .. بل وطبقا للقانون .. تكون حياة هذا المتآمر الأجنبى ملكا للدوق له أن يعفو وله أن يستعمل حقه ..

هلل جميع من فى القاعة .. وعانق بسانيو صديقه جراتيانو .. ثم أتجها إلى أنطونيو لتهنئته بالنجاة من براثن هذا اليهودى النذل ..

ووقف شايلوك أمام الدوق خائر القوى .. لاهث الأنفاس وهو لا يعلم ماذا سيكون مصيره بعد هذا التحول الغريب فى مسار القضية ..

قال الدوق : اطمئن أيها اليهودى .. فأنى أهبك الحياة قبل أن ترجونى أنت فى ذلك .. أما عن ثروتك فنصفها لأنطونيو ، ونصفها الآخر للدولة ..

قال أنطونيو : أما النصف الذى يخصنى فأننى أهبه بعد وفاته للرجل الذى تزوج من ابنته أخيرا .. ولى شرطان أخران .. أن يعتنق هذا اليهودى المسيحية والثانى .. أن يقدم على سبيل الهبة كل ما يكون له عند وفاته إلى ابنته وإلى زوجها لورنزو ..

قال الدوق : سيفعل ذلك .. والا فسأسحب العفو الذى منحته إياه .

.. تأوه شايلوك وأخذ يبكى ويلطم خديه .. وقال :

- أتوسل إليكم أن تـأذنوا لى بالأنصـراف من هذا المكان .. فـإن حالتى الصحية ليست على ما يرام .. أما الشروط التى وضعتموها .. فأنا أرضى بها .. أبعثوا لى عقدا بمضمونها وسأوقعه ..

وأنصرف شايلوك خائبا بعد فشل مؤامرته .. وتحول دفة الأمور إلى النقيض الكامل ..

وأستأذنت بورشيا فى الرحيل والعودة إلى بادوا .. وتقدم إليها بسانيو شاكرا وهو يقول :

- أيها السيد النبيل . إننى وصديقى أنطونيو قد أفلتنا اليوم من عقوبة هائلة بفضل حكمتك لذلك نتوسل إليك أن تقبل الثلاثة ألاف دوقية التى كنا مدينين بها لليهودى ، نقدمها لك عن طيب خاطر تعويضا عن المشاق التى تكبدتها فى سبيلنا ..

قالت بورشيا : أن ما حصل عليه صاحبك هو حقه فى المقام الأول ..ولكننى أعتذر عن قبول هديتكما ..

فقال أنطونيو : ولكننا نرجو أن تقبل هذه الهدية منا ..

فقالت بورشيا : حسنا آآخذ مالا .. أعطنى قفازيك يا سيد أنطونيو تذكارا لهذه الواقعة .. أما أنت يا سيد بسانيو فأن الخاتم الذى فى أصبعك سيكون دليلا على محبتك ..

تراجع بسانيو مذعورا وهو يقول : وآاسفاه ياسيدى العزيز ، إنه خاتم تافه ولكنه ذو أهمية كبيرة عندى .. إنى مستعد لإعطائك أثمن

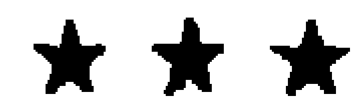
خاتم فى البندقية .. أما هذا الخاتم فأننى مصر على الأختفاظ به ..

عادت بورشيا .. تلح فى طلب الخاتم ولكنه رفض ذلك باصرار ..

فلما انصرفت بورشيا ووصفيتها نريسا .. قال أنطونيو لبسانيو :

– دعه يأخذ الخاتم يا بسانيو .. فأن خدماته لى ، ومحبتك لى يستحقان منك ذلك ..

وتخاذل بسانيو أمام كلمات صديقه ، فأرسل جرايتانو فى أثر بورشيا ومعه الخاتم ..



عندما لحق جرايتانو ببورشيا .. ناداها وهو يلهث ..

– سيدى .. لقد بعث إليك السيد بسانيو بهذا الخاتم ويرجوك أن تقبله ..

تناولته بورشيا فى دهشة ووضعته فى أصبعها ، فقالت نريسا لجرايتانو :

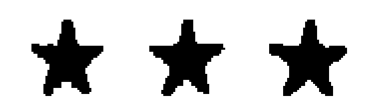
– وأليس للكاتب هدية مثله .. أرى فى أصبعك خاتما أتمنى الحصول عليه ..

قال جرايتانو فى تردد : ولكنه هدية غاليه من شخص عزيز ..

فقالت بورشيا : تماما كما قال صاحبك عن هذا الخاتم ..

فخلع جرايتانو الخاتم من أصبعه وأعطاه لنريسا قائلا :

– ها هو الخاتم .. ولتغفرلى صاحبته ..



.. فى قصر بورشيا بمدينة بلمونت .. كان لورنزو وچيسيكا ومعهما لونسلو يعدون العدة لأستقبال بورشيا التى أرسلت رسولا يخبر بقرب عودتها .. وما هى الا لحظات حتى أتت بورشيا مع وصيفتها نريسا .. وبعد أن أستراحا قليلا أرسلا فى طلب الخدم .. ونبها عليهم بضرورة إخفاء فترة غيابهما عن الضيوف القادمين ، ولذلك أوصيا جيسيكا ولورنزو ولونسلو الذين تعهدوا أمامها بأن يبقى أمر غيابها عن القصر سرا .. لا يبوحون به أبدا ..

.. وفى المساء .. أعلن الخادم وصول السيد بسانيو ومعه جرايتانو وصديق ثالث هو أنطونيو .. حيث قابلتهم بورشيا بترحاب شديد ، وأولت أهتماما خاصا بأنطونيو .. وبينما هم يتحادثون إذ قالت نريسا فجأة لجرايتانو :

– أين الخاتم الذى وهبتك أياه قبل سفرك ..

فقال جرايتانو مترددا : لقد أعطيته لكاتب المحامى الذى دافع عن السيد أنطونيو ..

صاحت نريسا : أيها الخائن .. ألم تقسم لى على الاحتفاظ به وعدم التفريط فيه أبدا ؟.. ألم تقسم على أن هذا الخاتم سيصحبك حتى فى قبرك ؟.. لقد حنثت بقسمك وبانت لى خيانتك ..

أجاب جرايتانو مدافعا : ولكنه خاتم تافه ..لا يستحق منك هذا الغضب ..

قالت نريسا بغضب : أن الهدية ليست فى قـيمتها ولكن فى معناها .. لم أتوقع هذا منك يا جريتانو .. لم أتوقع ذلك منك ..

وفجأة صاحت بورشيا بدورها :

– بسانيو .. أين خاتمى أنا الأخرى ؟..

نظر بسانيو إلى أنطونيو مستغيثا ثم قال :

– لقد طلبه محام أنطونيو فلم أملك الا اعطاءه له ..

قالت بورشيا فى غضب : ألم تقل لى أنه سـيبقى فى أصبعك حتى الموت ؟.. لقد أخلفت وعدك وتستحق بذلك غضبى عليك ..

قال بسـانيو : لقد رفض هذا المحـامى مبلغ ثلاثة آلاف دوقـيه ، ولكنه طلب هذا الخاتم ..

فقالت بورشـيا محتدة : أقسم بـالله أنى لن أوى إلى فراشك حتى أرى الخاتم ..

وهنا تكلم أنطونيـو : إني أنا الشقى سـبب كل هذه المشـاجرات .. ولكن أعلمى يا سـيدتى أننـى قد رهنت جـسدى يومـا ضمـانا لدين زوجك .. ولولا ذلك الذى أخـذ الخاتم منه لكنت قد فـقدت حـياتى .. وها أنا أضـمنه مرة أخـرى أمامك أنه لن يحنث بيمـينه لك بعد ذلك أبدا ..

.. هنا مدت بورشيا يدها بخاتم قدمته إلى أنطونيو قائلة :

- إذن .. أجعله يقسم أمامك بالمحافظة على هذا الخاتم .. وليكن حريصا عليه أكثر من ذى قبل ..

تناول أنطونيو الخاتم من بورشيا وقدمه إلى بسانيو قائلا :

- هيا .. اقسم أمامى بما تريده زوجتك ..

فقال بسانيو وهو يتأمل الخاتم :

- ولكننى أقسم أن هذا هو الخاتم الذى أخذه منى المحامى .. ما الأمر هناك سر لا أعرفه ..

قالت بورشيا : حسبنا .. أسمعوا أيها السادة .. اسمعوا جميعا .. أن المحامى البارع الذى تصفونه لم يك سوى تلك التى تحادثكم الآن وكاتبه هو نريسا ..

صاح بسانيو : يا للسماء .. وأنا لم أعرفك !؟..

جرايتانو : وأنا أيضا ..!؟..

ضحكت بورشيا : الآن .. وقد أكتملت السعادة ، مازال هناك نبأ سار أدخره للسيد أنطونيو .. لقد علمت أن هناك سفنا لك قد نجت من الغرق ، وعادت إلى البندقية مثقلة بالبضائع الثمينة ..

صاح أنطونيو فرحا وقال : مرحى .. وأنا بدورى أحمل خبرا سارا لك يا لورونزو أنت وچيسيكا : لقد وقع والدك على عقدا يهب لك به كل ممتلكاته بعد موته ..

فقالت چيسيكا : أنا لا أصدق هذا ..

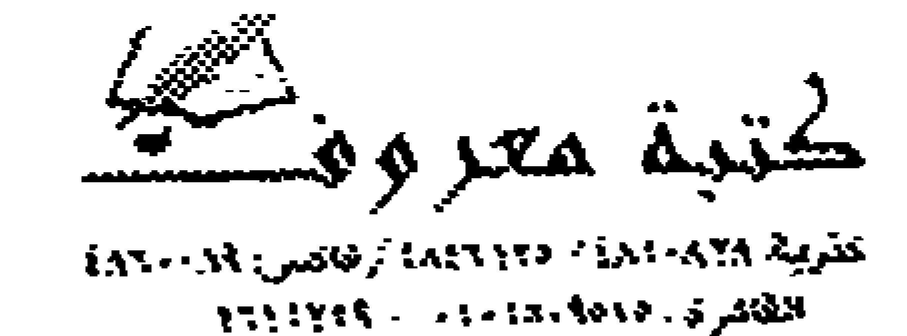
وقال لورنزو : وأنا لا أصدق ..

وقفت بورشيا تقول :

– لقد أوشك الصباح أن يظهر ..ومع ذلك فإن هناك الكثير الذى لا تعـرفونه .. ليكن الغـد موعـدنا لأقص عليكم تفـاصيل مـغامـراتى الصغيـرة مع نريسا .. والآن .. ليذهب كل إلى حالـه .. أنا مع سيدى ومولاى وأنت يانريســا مع جرايتانو العـزيز ، وكذلك أنت يا لورنزو مع فتاتك وأنت يا سيد أنطونيو أذهب ضيفا مكرما ولاشك أنك تنشد الراحه بعد كل هذا الذى عانيته ..

(انتهـت)

سلسلة روائـــــع شكسبير



١٨٠٣

المملكة العربية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض